



جمادى الأولى 1436هـ - فبراير 2015 م

الحملة الرومانية الأولى على جنوب غرب شبه الجزيرة العربية

رفع /
مختار محمد الضبيبي
تابعونا ↓↓
صفحة المكتبة التاريخية اليمنية

سليمان بن عبدالرحمن الذييب
باحث رئيس - وحدة الدراسات السعودية
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

الحملة الرومانية الأولى على جنوب غرب شبه الجزيرة العربية

سليمان بن عبدالرحمن الذييب

باحث رئيس
وحدة الدراسات السعودية
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م



ⓗ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

قراءات : الحملة الرومانية الأولى على جنوب غرب شبه الجزيرة العربية

/ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.- الرياض، ١٤٣٦هـ

.ص ٩٢ ؛ ١٦,٥×٢٣سم

ردمك: ٩-٥٨-٨٠٣٢-٦٠٣-٩٧٨

١- الجزيرة العربية - تاريخ قديم ٢- الرومان - تاريخ ٣- الامبراطورية الرومانية - تاريخ أ.العنوان

ديوي ٩٣٩،٦٢ ١٤٣٦/٤٤٠١

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٤٤٠١

ردمك: ٩-٥٨-٨٠٣٢-٦٠٣-٩٧٨

المحتويات

بين يدي الكتاب

مثّلت شبه الجزيرة العربية في قلب العالم القديم حلقة الوصل بين إفريقية وآسيا؛ لاحتلالها مكاناً جغرافياً إستراتيجياً، لكنها لم تتعرّض خلال تاريخها الطويل إلا لعدد محدود من الحملات العسكرية.

إن أوّل ما يمكن عدّه غزوةً أو حملةً هي تلك التي قام بها الآشوريون على مشيخات شمال شبه الجزيرة العربية وشمال غربها، ولم تكن بهدف استغلال الموارد الطبيعية أو غيرها، بل لإيقاف هجمات البدو العرب على مواقع وأمكنة تابعة للإمبراطورية الآشورية وتأديبهم. وهذه الهجمات تضرّر منها أصحاب القوافل، فوجدتها الإمبراطورية دافعاً لإرسال قواتها إلى داخل الأراضي في شمال شبه الجزيرة العربية. وبسبب هذه الهجمات الآشورية تعرّف العراقيون هذه المنطقة؛ لذلك لم يتردّد نابونيد -آخر ملوك الدولة البابلية الكلدانية- في اجتياحها، ليس بهدف تأديب قبائلها، بل للاستقرار فيها؛ لتزايد الخطر الفارسي على بابل. وقد وجد نابونيد أن عليه -إن رَغِبَ النجاة بملكه- الابتعاد من الخطر المحدق ببلاده من التهديدات الفارسية (الإخمينية)؛ لذلك توجّه إلى شمال شبه الجزيرة العربية وشمال غربها باتجاه مدينة تيماء، التي من المؤكّد أنه لم يخْتَرْها إلا لعلمه بإمكانياتها ومناسبتها لتصبح عاصمةً مرموقةً لحكمه، وإلا لما خاطر ودخل المنطقة. وقد يسأل سائل: لماذا لم يختر نابونيد منطقةً تقع إلى الغرب من بلاده في الشام؟ ولعل الإجابة -في تصوّرنا- تعود إلى أن نابونيد نفسه تيقّن أن دولته لا تستطيع مواجهة هذه الإمبراطورية الإخمينية الجديدة؛ خشية أن تكون مملكته لقمةً سائغةً لها، وأن هذه الإمبراطورية الناشئة ستسير على الطريق ذاته الذي سار عليه أباطرة أكاد وآشور وبابل بالسيطرة والهيمنة على بلاد الشام منجم الثروات الطبيعية؛ لذلك فإن الإخمينيين لن يسمحوا باستمرار دولته فيها. وهكذا، وقع اختياره على هذه المدينة الحالمة (تيماء)، ليس لأنها الأفضل، لكن لأنه توقّع بحساباته أن الإخمينيين لن يتعرّضوا له وهو فيها؛ فمملكته الجديدة منزوية داخل

الصحراء الشمالية. والمعلوم أن نابونيد عاش فيها سبع سنوات، وقيل: عشراً، ينتظر خلالها دخول الفرس عاصمة بلاده بابل، لكن الفرس لم يجتاحوها إلا بعد عودته إلى العاصمة بابل، وقضوا نهائياً على الإمبراطورية الكلدانية.

والأمة الثالثة هي (الإغريق)، التي حاولت مصارعة المارد الصحراوي المُحاط بالبحار من ثلاث جهات، وتشكّل المعصم الحامي لليد؛ فالبحار الثلاث تدفع بعيداً منها كلّ شرٍّ. لقد سعى الإغريق من خلال إمبراطورهم العظيم الإسكندر إلى جسّ نبض هذا المارد، ومعرفة مكامن ضعفه؛ فقوّته معروفة لهم، وهي تكمن في شيئين، هما: الغموض الذي يلفّ شبه الجزيرة العربية، وأنها المخزن البشري للعالم القديم. وكانت محاولاتهم هذه على مرحلتين: الأولى في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد على الأطراف الشمالية، والثانية جاءت في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، وتحديداً على الأطراف الشمالية الشرقية.

لكنني أميل إلى أن سبب تعرّض شبه الجزيرة العربية لعدد محدود من الحملات يعود إلى موقعها، الذي يترك هيبةً أمام الراغبين في الوصول إليها عنوةً؛ فهي غامضة موحشة بصحرائها وجبالها، عظيمة برجالها وأهلها، فما من قبيلة أو قبائل خرجت منها إلا وسادت في الأرض التي تستقرّ بها منذ خروج الأكاديين ومن تبعهم من الآشوريين والبابليين وغيرهم، وانتهاءً بالقبائل العربية التي هاجرت مع ظهور الإسلام، أو تلك التي جاءت بعد تدهور أوضاع الخلافة العثمانية؛ فالجميع من خلال التجربة يعلم مقدرة هؤلاء، لا على التكيّف مع المجتمعات الأصلية فقط، بل على فرض أجندتهم ووجودهم؛ لذلك فضّلت هذه الأمم ترك شبه الجزيرة العربية في حالها.

لكن الأمر اختلف لاحقاً؛ لعاملين:

أوّلهما: تزايد استهلاك المواد العطرية في العالم القديم، وهي مواد تنتجها عدة مناطق في جنوبها.

ثانيهما: تفاعل أهلها مع مميّزات موقعهم الإستراتيجي بوصفه طريقاً

تجارياً مهماً.

عندها وجدت القوى طريقها إلى المنطقة، بدءاً من هذه الحملة الرومانية، مروراً بالاحتلال الفارسي والحبشي، وانتهاءً بالاستعمار الغربي لجهتيها الشرقية والجنوبية، إضافةً إلى الجزء الأقصى من شمالها.

ويهمّنا في هذه الدراسة الحديث عن الحملة الرومانية الأولى، التي كانت عن طريق البر، والتي سأتناول أسبابها ونتائجها؛ إذ بعد اطّلاعي على عدد من الدراسات المتعددة للحملة وجدتُ -خصوصاً في تلك العربية منها- تكراراً في التناول؛ اعتماداً على ترديد آراء الباحثين الغربيين ودراساتهم عن الحملة؛ مثل: تحديد مسارها، والمواقع التي مرّت بها، مع أنها افتراضات استندت إلى أسماء أمكنة غير دقيقة، أو تصدّي الباحثين العرب لأقوال استرابون عن الوزير النبطي سلي، أو عن الأحداث والمواجهات العسكرية التي حدثت بين الجيشين العربي والروماني. لذلك قادني عدم اقتناعي بذلك الدفاع المستميت، ومسوّغاته غير العلمية، إلى أن أعطي نفسي حقّ المشاركة في هذا الموضوع بهذه الدراسة المتواضعة عن الحملة. وقد بدأتُها بالحديث باختصار شديد عن المؤثِّرَيْن الرئيسين، وهما: الرومان، والأنباط، كما تناولتُ المصادر الكلاسيكية المعاصرة أو التالية للحملة، وانتقلتُ بعدها إلى الحديث عن الحملة، متطرّقاً إلى أسبابها، وختمتها بنتائجها.

ولا يفوتني في هذه العجالة أن أكرّر عميق شكري وجزيل تقديري لجميع الإخوة والأخوات على تشريفهم لي بقراءة مسوّدات هذا العمل، وإبداء ملاحظاتهم وتصوبياتهم التي أقدّرها كثيراً، وأخصّ منهم الإخوة الفضلاء: فؤاد بن حسن العامر، وسلطان بن عبدالعزيز الدهام، ومحمد بن علي الحاج من قسم الآثار بجامعة الملك سعود، والدكاترة: رضا أرسلان، ونورة بنت عبدالله النعيم، وفتحية بنت حسين عقاب، ووداد الشنار من قسم التاريخ بجامعة الملك سعود، وحصة بنت تركي الهذال من قسم التاريخ بجامعة الأميرة نورة، والأخ المؤرّخ عبدالله بن عبدالرحمن الذييب، والشكر موصول إلى الأخ الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن

سعود الغزي الذي قدّم لي مسوّدة ترجمة مقال سبرنجر عن الحملة؛ فلهم جميعاً الشكر والتقدير. وأخيراً، أسأله تعالى أن يجعل هذا العمل المتواضع في ميزان حسناتي، وأن يجعله مفيداً للقارئ الراغب في معرفة تاريخ شبه الجزيرة العربية؛ إنه سميع مجيب الدعاء.

سليمان بن عبدالرحمن الذييب

الرياض ١٤٣٥/١١/١٧هـ

المقدمة

بدأت روما تظهر على الخريطة السياسية الإقليمية في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، بعد أن اكتفت طوال عقودٍ بالانكفاء الداخلي، وبناء قوتها الذاتية، ومراقبة جاراتها من المدن والدول اليونانية، إضافةً إلى مراقبتها الإمبراطوريتين: المقدونية، والسلوقية، فتعلّمت من أخطائهما، على الأقلّ في بداياتها، واستفادت من تجارب اليونان السياسية والفكرية، ولعلّ ما ميّز هذه الدولة الفتية ثلاثة أمور:

١ - المجالس النيابية:

وعددها أربعة مجالس رئيسة، استمر أحدها في الحقبتين السياسيتين: الملكية، والجمهورية، وهو مجلس (السناتو/ السناتوس Senatos)[١]، الجسم السياسي للدولة والحاكم الفعلي لها، وهو يعادل حالياً الكونجرس في الولايات المتحدة الأمريكية، ويُعرف أيضاً باسم (مجلس الشيوخ). أما أعضاؤه فيُطلق عليهم (الآباء Patres). وكان المجلس في بداياته استشارياً خلال الحكم الملكي، ولا يملك حقاً تشريعياً، إلا أنه تدريجياً حصل على صلاحيات واسعة جعلته المهيمن والحاكم الفعلي للدولة. والغريب أنه مع أن كلّ المناصب الكبيرة والمهمة، بمن فيهم الملك في النظام الملكي، والقنصل في النظام الجمهوري، يُختارون بالانتخاب (أيوب، ١٩٩٦م: ٢٥)، إلا أن أعضاء هذا المجلس يُعيّنهم الملك نفسه أو القنصل، اللذين يعيّنهما المجلس بعد انتخابهما. وقد راوح أعضاء المجلس في الحقب التاريخية بين المئة عضو والستمئة عضو. أما مدة العضوية، فهي مدى الحياة في جميع الحقب التاريخية (للمزيد انظر: أيوب، ١٩٩٦م: ٥٤-٥٧؛ بتري، ١٩٧٧م: ٦٣-٦٤). وثاني هذه المجالس هو (المجلس المئوي Comitia Centuriata)، الذي أُسِّس بعد عام ٤٥٠ ق. م (السعدني، ١٩٩٧م: ٨٤)، وهو مجلس استشاري لا يُعقد إلا بدعوة من

١- لعلنا نشير هنا إلى أن أقدم نُسخ من قرارات هذا المجلس، المحفوظة إلى اليوم، تعود إلى عام ٤٤٩ ق. م (السعدني، ١٩٩٧م: ٢٢).

القنصل لإقرار القرارات أو رفضها، وليس له حقّ التعديل، وهو يعادل إلى حدٍّ ما ما يُعرف في بعض الدول العربية بمجلسي: (الأعيان)، أو (الشورى). وثالثها المُسمَّى بـ(الجمعية الكورية Comitia Curiata)، وقيل: مجلس الأحياء (أيوب، ١٩٩٦م: ٢٤)، الذي لم يستمر طويلاً؛ فقد جُرِّد من صلاحياته المحدودة تدريجياً حتى اختفى في العصر الملكي، ولم يُعملْ به في العهدين الجمهوري والإمبراطوري، وهو مجلس يمثّل عموم الشعب، ويتكوّن من ثلاثين عضواً، اختصّ فقط بالنواحي الدينية. أما رابع هذه المجالس المهمة، فهو (المجلس القبلي Comitia Plebis Tributa)، والهدف من إنشائه إرضاء فئة ذات قيمة في مجتمع روما القديم، وهم القبائل الرومانية؛ فالمقترع والمتقدّم إلى عضوية هذا المجلس هم أبناء القبائل، وميزته أنه ضمن لأبناء القبائل الرومانية المشاركة بغضّ النظر عن قدراتهم المالية، كما أنه يضمّ ممثّلين لأبناء القبائل الرومانية كلهم. وقد أدى المجلس دوراً في الحياة الاجتماعية والسياسية في روما بفضل الصلاحيات التي أعطيت له من الحاكم الفعلي، وهو مجلس السناتو.

٢- أنماط الحكم وأشكاله:

مرّ على روما ثلاثة أنماط، هي:

١- الحكم الملكي:

تقلّد الحكم خلال مدة الحكم الملكي Rex Imperium، التي استمرت نحو القرنين (من القرن السابع إلى الخامس قبل الميلاد)، ستة ملوك، الثلاثة الأخيرون من (الإتروسكيين)، ومع أن النظام كان ملكياً إلا أنه لم يكن وراثياً، بل عن طريق الانتخاب. وكان الملك عند تقلّده الحكم يتمتّع بسلطات مطلقة (أيوب، ١٩٩٦م: ٢٥؛ أبو اليسر فرح، ٢٠٠٢م: ٢١٥-٢١٧)؛ فهو يمسك بالجوانب الدينية؛ إذ إنه المسؤول عن رضى الآلهة عن الدولة، والمشرف على رجال الدين (الكهنة)، وهو المسيطر على الأمور الداخلية للدولة؛ فهو على رأس جهاز العدالة، كما أنه المسؤول

المباشر عن السياسات الخارجية للدولة. إضافةً إلى هذه المهام الدينية والمدنية، فالملك هو القائد العام للجيش[٢] (السعدني، ١٩٩٧م: ٧٧-٨١).

٢- الحكم الجمهوري (الشيء العام):

يعود نمط الحكم الجمهوري (الشيء العام Res Publica)، الذي استمرّ أربعة قرون ونيّف (من ٥٠٩ إلى ٣١ ق. م)، إلى التغيير الذي أجرته القبائل (اللاتينية الأصلية وقبائل سابين)؛ فقد تمكّنت من إعادة سلطته باختراع فكرة الجمهورية، مع وضع قيود واضحة على قدرة الحكام على ممارسة السلطة، وحدث هذا في عام ٥٠٩ ق. م. وعلى ضوء هذا التغيير عُزل آخر ملوك روما السبعة، المدعو (ثاركوينيوس)، الملقب بالمتكبّر (أيوب، ١٩٩٦م: ٣٢)، وأُنشئ هذا النظام القائم على الانتخاب؛ مثل: انتخاب القضاة سنوياً، وكذلك مختلف ممثّلي الجمعيات. ووضع الدستور سلسلة من الضوابط والتوازنات، والفصل بين السلطات. وأهم القضاة هم القنصلان، اللذان يمارسان معاً السلطة التنفيذية (أيوب، ١٩٩٦م: ٥١)، وكان القناصلة مُلزمين العمل والتعاون مع مجلس الشيوخ.

٣- الحكم الإمبراطوري المستبد:

بدأ هذا العصر عندما اتّخذ أوكتافيونوس اسم أغسطس (Bunson, 1994: 44)، فتولّى تقريباً السلطة المطلقة، ولم يُبقِ إلا على المظهر العام من الشكل الجمهوري. وقد تقلّد الحكم فيه أسرتان، هما: أسرة جوليو- كلوديان، التي استمرت حتى وفاة نيرون عام ٦٨م، وهو المعروف تاريخياً بالقسوة، وباهتمامه بشؤونه الخاصة أكثر من شؤون الدولة، واستمرت الإمبراطورية خلال حكم هذه الأسرة في التوسّع الإقليمي، كما ظلّت الدولة آمنةً إلى حدٍّ كبير، ثم أعقبها ثورات الجيوش، وتولّى

٢- كان الجيش الروماني في العصر الملكي يقوم على التقسيم القبلي؛ إذ تقوم كلّ قبيلة -وكان عدد القبائل آنذاك ثلاث قبائل فقط- بمدّ الجيش بألف من المشاة Pediters، ومئة من الفرسان Celeres /Equites (بتري، ١٩٩٧م: ١٠، ٧٠؛ أيوب، ١٩٩٦م: ٣٠). والجندي مُلزم إحضار عدّة قتاله (السعدني، ١٩٩٧م: ٨١؛ أبو اليسر، فرح، ٢٠٠٢م: ٢١٧).

الأباطرة الأربعة (٦٨-٦٩م). تلى ذلك حكم الأسرة الفلافية (٧٠-٩٦م) (للمزيد من المعلومات انظر: الناصري، ١٩٧٨م: ١٩٦-٢٣٠)، وأخيراً العصر الذي عُرف بعصر الأباطرة الصالحين (٩٦-١٩٢م)؛ إذ وصلت فيه إلى أزهى قوّتها الإقليمية والاقتصادية والثقافية (الناصري، ١٩٧٨م: ٢٣١-٣٠٥؛ الشيخ، ٢٠٠٤م: ٢٥-٤٥).

٣- المصروفات العسكرية:

بينما كان الجيش الروماني بالتطوّع -كما في الشرق- (أيوب، ١٩٩٦: ٣٠-٣١) كان النظام الروماني لا يتدخّل في التمويل العسكري الذي كان من صلاحيات القائد، وهو ما أدى في أحيان كثيرة إلى أن يكون ولاء الجندي للقائد العسكري، وليس للدولة؛ لذلك حرص القادة العسكريون على الاستيلاء على المناطق الغنية، أو فرض هيمنتهم عليها؛ بهدف الحصول على دخل كبير يصبُّ في مصلحتهم ومصلحة جنودهم (للمزيد عن الجيش الروماني انظر: بتري، ١٩٧٧م: ٦٩-٨٢).

إن هذه الأمور -في تصوّري- بغضّ النظر عن أنها قد تكون سبباً في انتهاء الدولة بعد ستمئة عام[٣] إلا أنها كانت العامل الرئيس في بناء إمبراطورية عظيمة أدّت دوراً حضارياً ما زالت شواهده حيةً في جميع بقاع العالم القديم، بل إن نظامها السياسي والاقتصادي هو المحرك الفعلي للحضارة السائدة اليوم، وهي الحضارة الغربية الأكثر -من دون شك- في خدمتها الإنسانية والتطور العلمي والتكنولوجي. لكن هذا الانكفاء الذي اختارته روما تغيّر بعد وصول الفينيقيين إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط في مقابل إيطاليا، وتحديداً قرطاجنة في تونس الحالية، وقيام هانيبال -بدعم من السلوقيين والمقدونيين- بالتحرّش بها لتشتيت تركيزها، فكان أن تقدّمت روما بعد عدة معارك، وقضت نهائياً على الوجود الفينيقي السياسي (للمزيد عن هذا الصراع انظر: الذييب، ٢٠٠٤م: ٤٢-٧٦).

وبدأت هذه الدولة، التي استوعبت بذكاء مآل الإمبراطوريات: السلوقية،

٣- ناقش عدد من المؤرّخين والباحثين أسباب زوال هذه الإمبراطورية العظيمة (للمزيد انظر: جيبون، ١٩٩٧م).

والبطلمية، والمقدونية، اللاتي تأسّسن بعد اقتسامهن تركة الإسكندر المقدوني، فكانت سيطرة روما واستيلاؤها على سورية بطلبٍ من السوريين أنفسهم، الذين ضاقوا ذرعاً بصراعات الأسرة الحاكمة وخلافاتها المستمرة، وبالملك الأرميني تيجرانيس، الذي دعوه قبل روما إلى فرض الأمن والاستقرار بالدولة (عقاب، ٢٠١٤م: ١٢٨-١٣٠)، لكن أسلوبه القاسي والعنيف لم يسمح باستمرار الاستقرار، والقضاء على الفوضى، التي كان ينشدها الأهالي، فدعوا القوة العالمية الجديدة (روما) إلى التدخّل، فدخلت سورية عام ٦٤ق. م، يقودها القائد الروماني الكبير بومبي، الذي استخدم فيها السياسة الرومانية المعروفة، وهي عدم ضم أيّ أراضٍ ليست إستراتيجية وضرورية؛ تجنّباً للأسلوب الذي أنهك الإمبراطوريات القديمة، مثل السلوقية؛ لذا لم يضم إلى روما إلا سورية؛ فالساسة الرومان يجدون في استقلال الدول وتفرّقها قوةً لهم، خصوصاً في الشرق؛ فكثرة الدول (المدن) المستقلة هي لمصلحة روما. لذلك لم تتوانَ روما عن إعلان مبدأ حرية المدن الإغريقية عام ١٩٦ ق. م في أثناء دورة الألعاب الكورنثية، في إشارة قوية إلى أن روما لا تريد القضاء على اليونان قائدة الفكر الاجتماعي والسياسي آنذاك، أو الدخول في صراع معها؛ لما لها من مكانة في العالم القديم، فكسبت ولاء هذه المدن، وفي الوقت ذاته لم تسمح لها بالاتحاد في دولة واحدة. وها هو ذا بومبي بعد أكثر من قرن على تلك الحادثة يستخدمها في الشرق، فأبقى على استقلال الدول الصغيرة؛ لتكون حليفةً وتابعةً، مع منحها نوعاً من الحكم الذاتي الذي يُخلي مسؤولية روما في واجباتها كدولة، فيما عدا سورية، التي ضُمّت إلى الإمبراطورية، كما فعلت فرنسا في الجزائر في العصر الحديث، بخلاف المغرب وتونس اللتين تركتهما مستقلتين، لكن تابعتين. وبعد ثلاثة عقود ضمّت روما مصر إلى سيطرتها المباشرة على الرغم من هيمنتها السياسية الواضحة على الدولة البطلمية منذ بداية القرن الثاني قبل الميلاد؛ فهي الحامية لملوك البطالمة الذين خدموا روما كثيراً، لكن أعضاء السناتو أرسلوا (سكيبو أميليانوس) مع وفد من أعضائه إلى

مصر، لا لحلّ المشكلات السياسية داخل الأسرة الحاكمة، بل لإعادة النظر كليةً في وضع الحكم في مصر، ولمعرفة كلّ شيء عنها. وانتهى التقرير الذي أعدوه إلى أهمية مصر ومميّزاتها، وحملوا تقريرهم إلى السناتو، وأوضحوا أن مصر بلد ثريّ لا يجب أن يبتعد من الوصاية والحماية الرومانية؛ فهي «تشكّل قوةً عظيمةً إذا ما حكمها حكّام جديرون بها». وهكذا انتهى المطاف بضمّ مصر إلى روما عام ٣٠ ق. م. وبعد هذا التقرير قام عضو من السناتو بزيارة سياحية إلى مصر كما تقول الوثائق الرسمية (علي، ١٩٧٢: ١-٤٠).

إن روما، هذه المدينة الحالمة الرائعة في أيامنا هذه، والجاذبة الزائرين من مختلف بقاع العالم، أُنشئت -كما دلّت الدراسات العلمية الحديثة- بين القرنين العاشر والثامن قبل الميلاد (Scullard, 1980: 37)[٤]، إذا وضعنا جانباً الأسطورتين اللتين تشيران إلى تأسيس هذه المدينة: الأولى تحدّد تأسيسها بمنتصف القرن الثامن قبل الميلاد على يد الأخوين التوأمين: رومولوس Romulus، وريموس Remus، حفيدي الملك اللاتيني نيوميتور[٥]، والثانية تنسب تأسيسها إلى امرأة تدعى: روما[٦].

٤- نلفت الانتباه إلى أن سكولارد أشار إلى دلائل أثرية جديدة تُعيد تاريخ الاستيطان البشري في هذه المدينة العريقة إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، وتحديداً إلى ١٥٠٠ ق. م (Scullard, 1980: 43). ونشير هنا إلى أن بعضهم يرى أن أقدم مكان سكني في روما كان فوق تل بالتينوس، العائد إلى القرن الثامن قبل الميلاد (السعدني، ١٩٩٧م: ٦١).

٥- تقول القصة: إن الملك طُرد من عرشه على يد أخيه القاسي إموليوس Amulius. ولأن الملك الجديد خشي من أن يتمكّن هذا التوأم من استعادة العرش أمر بإغراقهما، لكن -كما قيل- فإن الذئبة، أو زوجة أحد الرعاة في بعض الروايات، أنقذتهما وربّتهما، وعندما نضجا استعادا عرش (ألبا لونجا لنيوميتور)، ثم أسّسا مدينة روما، التي أخذت اسم الأخ القاتل (رومولوس) (للمزيد عن هذه الأسطورة انظر Scullard, 1980: 46-51؛ بتري، ١٩٩٧م: ٥-٦؛ أبو اليسر، ٢٠٠٢م: ٢١٥).

٦- هي أسطورة سجّلها المؤرخ اليوناني ديونيسوس، وتقول: إن (أناس) الآتي من طروادة قاد مجموعةً في رحلة بحرية تعرّضوا خلالها لمخاطر هذا البحر الهائج؛ لذلك اضطروا إلى التوقف على ضفاف نهر التيبر. وبعد استقرار البحر الهائج، وأخذ الرجال راحتهم، قرّروا الإبحار، وهو القرار الذي لم يَنَلْ رضى النساء المرافقات، فاقترحت امرأة تُدعى (روما) أن تحرق النساء السفن في عرض البحر؛ لمنع الرجال من مغادرة هذا الموقع. وهذا التصرّف لم يَنَلْ رضى الرجال، الذين أدركوا لاحقاً أنهم في الموقع المثالي للاستقرار؛ لذلك تكريماً منهم لهذه المرأة أطلقوا اسمها على هذا الموقع.

وكما أن لكلّ بداية نهاية فقد بدأت هذه الإمبراطورية العريقة تدخل مسار النهاية؛ فتعرّضت -بسبب إخلال قادتها وشعبها بتقاليده العريقة- إلى هجمات من الشعوب المهاجرة، وهو ما أدّى إلى تقسيم هذه الإمبراطورية، التي احتلّت مساحةً بلغت مليونين ونصف المليون ميل مربع، وهو ما يعادل ستة ملايين ونصف المليون كيلو متر مربع، إلى قسمين رئيسين: الأول الإمبراطورية الرومانية الغربية، وعاصمتها روما، والثاني الإمبراطورية الرومانية الشرقية التي اتّخذت من القسطنطينية عاصمةً لها، وتضم: (اليونان، وآسيا الصغرى، وسورية، ومصر). هذا الأمر هو باختصار شديد جزء من تاريخ هذه المدينة والإمبراطورية العظيمة[٧]، وجدتُ من الأهمية بمكانٍ البدء به؛ لأن الرومان هم من نفّذ فكرة الحملة على جنوب شبه الجزيرة العربية.

٧- صدرت إلى الآن المئات من الدراسات والأبحاث الشمولية عن هذه الإمبراطورية، لعلّ منها كتاب (تاريخ العالم الروماني)، الذي غطّى فيه مؤلفه سكولارد مرحلةً تاريخيةً تقع بين عامي ٧٥٣ و١٤٦ قبل الميلاد (للكتاب انظر: Scullard, 1980؛ وانظر كذلك كتاب جونز: الإمبراطورية الرومانية المتأخرة Jones, 1973).

الفصل الأول

أطراف الصراع

مدخل:

لعلنا قبل أن نلج في صلب الموضوع، وهو الحملة الرومانية على جنوب شبه الجزيرة العربية، نقول: إن هذه الحملة -مثلها مثل أيّ حدث تاريخي- لها أدواتها المختلفة التي كوّنتها، ومنها القوى البشرية المنفّذة والمخطّطة لها، إضافةً إلى الموقع الجغرافي، وهو مسرح الأحداث؛ فالحدث التاريخي -مثل المسرحية- يحتاج إلى أبطال وممثلين فاعلين، مثل: قادة الأنباط، والقبائل العربية الجنوبية، وممثلين ثانويين يمثّلهم الجيش النبطي، وآخرين (كومبارس)[(٨)]، ومنتج، ومخرج. وفي حدثنا هذا فإن المسرح هو الجزءان الغربي والجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، أما المنتج المنفذ فهو روما ممثّلةً في إمبراطورها أغسطس، وأبطالها هم: جاللوس وجيشه، والأنباط ممثّلين في ملكهم عبادة الثالث ووزيره سلي، وهم في الوقت ذاته -كما سنرى لاحقاً- أصحاب هذه الفكرة. أما القبائل العربية اليمنية، فأدّت دورها رغماً عنها. ولعلي أضع الكُتّاب الكلاسيكيين في محلّ المخرجين؛ فهم من حفظ لنا تفاصيلها، وصاغ مراحلها، مع أنهم استقوها من التقارير الرسمية للجيش الروماني. لذلك رأينا من المناسب تقديم نبذة مختصرة عن كلّ هؤلاء، ونبدأ بالمنتج نفسه:

أغسطس Augustus[(٩)]:

وُلد في روما في ٢٣ سبتمبر عام ٦٣ ق. م من عائلة غنية ومحترمة تنتمي إلى طبقة الفرسان الرومانية، وتُوفِّي في ١٩ أغسطس عام ١٤م عن عمر ناهز الخمسة والسبعين عاماً. وقد عاش بداية حياته يتيماً؛ إذ تُوفِّي والده وهو في الرابعة من عمره،

٨- نرى أن اليهود في هذه الحملة أدوا دوراً ثانوياً على الرغم من محاولة هيرود الكبير إظهار اهتمامه باختيار أقرب عساكره إليه، وأكثرهم تدريباً؛ فالمجموعة التي أرسلها -كما قال جوزيفوس (جوزيف)- من حرس هيرود الشخصي (نقلاً عن: السلامين، ٢٠١٣م: ١٣٨). وهذا الأمر دليل على اهتمامه الكبير؛ فحرسه الشخصي يماثل هذه الأيام الحرس الملكي أو الجمهوري في بعض البلدان. عن اليهود وتاريخهم، انظر: (Robinson, 1957؛ عقاب، ٢٠١٤م: ٨٣- ١٢٣).

٩- أغسطس: اسمه الحقيقي أوكتافيوس، وتسمَّى بـ(أغسطس) بعد معركة أكتيوم، التي كانت في عام ٣١ ق. م. والعَلَم الثاني يعني: العظيم، أو الجليل، أو المهيب (كمال، ١٩٧٧م: ١٢٠). وقيل: المحترم (ديورنت، ١٩٥٥م: ٤١٨)، وأيّده كلّ من: (الجرو، ٢٠٠٢م: ١٧٩؛ والنعيمات، ٢٠٠٠م: ٨٩؛ والعتيبي، ٢٠١١م: ٤٠٤).


الإمبراطور أغسطس

وانتهى به المطاف في أحضان جدته جوليا سيزاروس، أخت القائد يوليوس قيصر، ولإعجاب خاله القيصر به تبنّاه، وجعله المستفيد الأساسي في وصيته.

وقد آلت الأمور إليه بعد انتصاره في معركة أكتيوم، فغيّر النظام ليصبح نظاماً إمبراطورياً، مع الاحتفاظ بكثير من سمات النظام الجمهوري (العام). وتكمن مكانته عند الشعب الروماني في سببين رئيسين: أوّلهما انتصاراته التي حقّقها، خصوصاً في الشرق، وثانيهما مناداته إلى الحفاظ على التقاليد الدستورية، فأعاد الأمن والاستقرار إلى روما، وهو ما أهّله لتغيير النظام من جمهوري إلى إمبراطوري.

وقد تميّزت مدة حكمه، التي استمرت خمسة وأربعين عاماً (٣١ ق. م- ١٤م)، بمرحلة عُرفت باسم (باكس رومانا Pax Romana)؛ أي: السلام الروماني، عاشت على أثره روما في سلام استمر أكثر من قرنين. وقد مارس السياسة الرومانية المعتادة، وهي: عدم التوسّع، والاكتفاء بدعم النفوذ الروماني عن طريق التفاهم والدبلوماسية، مع الحرص على وجود مناطق آمنة تعترف بالسيادة الاسمية للإمبراطورية فقط (للمزيد انظر: الناصري، ١٩٧٨م: ١٨-١١٩).

آيليوس جاللوس Aelius Gallus:

تقلّد ولاية مصر مدة عامين (٢٦-٢٤ ق. م)، لكن أغسطس الذي عيّنه أعفاه بعد ما قيل عن إخفاق حملته في جنوب شبه الجزيرة العربية، لكننا نعتقد أن سبب تنحيته هو الثورات الأثيوبية وهجماتها على جنوب مصر والحاميات الرومانية،

مستغلّين قرار جاللوس مشاركة وحدات من الجيش الروماني المرابط في جنوب مصر في الحملة على اليمن، وغيابها عن حماية الحدود الجنوبية لمصر، إضافةً إلى أن الحملة أخذت وقتاً أطول من المتوقّع بسبب الأمراض التي أصابت جنوده، فاضطرّ إلى البقاء في ميناء لوكي كومي النبطي أكثر من شهرين.

الأنباط 𐢕𐢃𐢋𐢈:

هم قبائل عربية تمكّنت بعد هجرتها من منطقة تقع شمال القصيم وسط شبه الجزيرة العربية، واستقرارها في منطقة أدوم شمال شبه الجزيرة العربية، من تكوين مملكة استمرت أكثر من ثلاثة قرون. وكان النظام السياسي عندهم ملكياً وراثياً بين الإخوة؛ مثل: عبادة الأول، ورب إل الأول، والحارثة الثالث، وهم أبناء الحارثة الثاني، أو بين الأبناء؛ مثل: عبادة الثالث ابن مالك الأول، الذي تقلّد الحكم بعد والده، ومالك الثاني ابن الحارثة الرابع، الذي تقلّد الحكم بعد وفاة والده، وأخيراً آخر الملوك الأنباط رب إل الثاني، الذي جاء بعد وفاة والده مالك الثاني (الذييب، ٢٠١١م: ٥١-٥٢).

واللافت للنظر أن ما ميَّز هذه الدولة من غيرها من الممالك العربية الشمالية ليس استمرارها مدةً تزيد على ثلاثة قرون فقط، بل علاقاتها مع الدول والشعوب المعاصرة لها. وهذه العلاقات لم تكن نتاجاً طبيعياً لموقع هذه المملكة الإستراتيجي، بل للأسلوب المتقدّم الذي أدار به ملوكها هذه العلاقات بمختلف جوانبها السلمية أو الحربية.

تقلّد الحكم في هذه الدولة -على مدى مدة تزيد على مئتين وثمانين عاماً (١٦٩ ق. م- ١٠٦م)- أحد عشر ملكاً، نعتقد أنهم يعودون إلى ثلاث سلالات أو أربع (للمزيد انظر: الذييب، ٢٠١١م: ٢٥-٢٨)، وذلك على النحو الآتي:

السلالة	الملوك	المدة	الحقبة
الأولى	١	؟	؟
الثانية	٦	؟	؟-٩ ق. م
الثالثة	٣	١١٥ سنة	٩ق. م- ١٠٦م

وقد حمل هؤلاء الملوك أربعة أسماء فقط، هي:

الاسم	العدد	الاسم	العدد
الحارثة	٤	عبادة	٣
رب إل	٢	مالك	٢

أطولهم مدةً في الحكم هو الحارثة الرابع، المعروف بلقبه (محب شعبه)؛ فقد استمرّ حكمه ٤٩ عاماً (٩ ق. م- ٤٠م)، وأقلّهم مدةً في الحكم هو رب إل الأول، الذي حكم عاماً واحداً، وهو عام ٨٥ ق. م.

وإضافةً إلى أن الذين تقلّدوا دفّة الحكم في هذه الدولة هم من الذكور إلا أن شقيلت (شقيلة)، وهي زوجة مالك الثاني (٤٠- ٧٠م)، قد أدارت الدولة مدة خمس سنوات، بصفتها وصيةً على ابنها آخر ملوك الأنباط رب إل الثاني (٧٠- ١٠٦م)، ولم تتردّد خلال مدة وصايتها في أن تسكّ عملات أرّخت لمدة الوصاية. والجدير بالإشارة أن الملكة -زوجة الملك- كانت تؤدي دوراً اجتماعياً وسياسياً واضحاً؛ فقد حملت لقب (أخت الملك)، والمقصود الساعد الأيمن للملك، وهو -كما نرى- أقلّ أهميةً ومكانةً من ولاية العهد. وكانت بعض الملكات -زوجة الملك- تستغلّ إمكاناتها، وقوة شخصيتها، فتدفع زوجها الملك إلى اختيار ابنها لولاية العهد، تماماً كما فعلت شقيلت عندما أقنعت زوجها الملك مالك الثاني بتخطّي أبنائه الأكبر سناً، واختيار ابنها لولاية العهد. ومن الأنباط سنتحدث عن شخصيتين أدّيا دوراً واضحاً في هذه الحملة: الأول الملك النبطي الثامن عبادة الثالث، والثاني وزيره الطموح سلي، الذي اختاره الرومان ليكون مرشداً للحملة داخل الأراضي العربية.

عبادة الثالث עבדת (٣٠- ٩ ق. م):

وصف المؤرّخون الكلاسيكيون؛ مثل: يوسيفوس، واسترابو، هذا الملك، الذي تقلّد الحكم وهو كهل، بالكسل والتراخي، وأنه لم يُعِرْ -كما قالوا- الشؤون العامة -إضافةً إلى العسكرية- أيّ اهتمام (Strabo, 1930: 357). وأجدُ شخصياً



الملك النبطي عبادة الثالث

إجحافاً واضحاً في هذا القول؛ فالأحداث السياسية التي حدثت في عهده (للمزيد انظر: الذييب، ٢٠١١م: ٤٠-٤٥)، وموافقته على مساندة هذه الحملة ودعمها لوجستياً وعسكرياً، المتمثّل في: تذليل الصعاب والمعوقات كافةً على الأرض عن طريق السماح للجيش الروماني بالمرور في الأراضي التابعة للمملكة النبطية، وحسن استقبال الجيش من ولاة المناطق التي مرّوا بها، مثل: استقبال والي إحدى المناطق الجنوبية، وهو قريب للملك عبادة، يُدعى الحارثة[١٠]، أو تهيئة المكان المناسب لإقامة المعسكرات والمخيمات العسكرية لهذا الجيش، تدلّ على إمساك الملك عبادة بزمام أمور الدولة. وقد تمثّل الدعم العسكري -في رأيي- في تزويد الجيش الروماني بفرقة عسكرية وصلت إلى ألف رجل[١١].

سللي :

لا نعرف تفاصيل دقيقةً عن هذا الوزير الذكي إلا ما جاء في المصادر التاريخية من علاقته العميقة مع الرومان؛ لذلك حصل هذا الوزير على مكانة طيبة في

١٠- أطلق استرابون (Strabo, 1930: 359) على المنطقة التي يحكمها الحارثة اسم (أرض الحارثة)، وهو ما جعل بعضهم يعتقد أنه ملك مستقلّ على علاقة طيبة بالأنباط (علي، ١٩٩٨م: ١٢٥؛ موسل، ١٩٨٨م: ١٢٥). بطبيعة الحال، لا نوافق على قول جلاسر: إن الحارث هذا هو الحارث الذي ذكره الهمداني في كتابه: صفة جزيرة العرب (علي، ١٩٩٨م: ١٢٥).

١١- تمتّع الجيش النبطي بسمعة إقليمية طيبة؛ فقد استوعب التطورات التنظيمية العسكرية آنذاك، مع استخدام جيّد لبعض تقنيات العسكرية الحديثة؛ فاستخدم الأسماء والألقاب الرومانية واليونانية الخاصة بالفِرَق العسكرية والقادة العسكريين. للمزيد من المعلومات عن الجيش النبطي انظر: (هزيم، ١٩٩٤م: ٧٥- ٨٧؛ الدغيم، ٢٠٠٢م: ٦٥- ٩٥).



الوزير النبطي سلي

رواياتها، وجعلته هذه العلاقة حاضراً بقوة في المصادر التاريخية المعاصرة. وقد بزغ نجم الوزير سلي، المفكّر الذي لُقب عدة مرات بلقب (أخي الملك)، والمقصود به العضد الأيمن أو اليد اليمنى للملك عبادة، في الأحداث التي وقعت بين روما والأنباط أو المتعلقة بشبه الجزيرة العربية. وهو يذكّرنا بالوزير أمنحتب في عهد سنفرو من الأسرة الفرعونية الرابعة. ومع أن علاقةً حسنةً ربطت سلي بالدولة اليهودية إلا أنه أصيب بخيبة أمل كبيرة عندما رفض الملك هيرود الكبير ה ר ר ד زواجه من أخته سالومة إلا بعد اعتناق سلي اليهودية، ولأن موافقته على هذا الشرط تمثّل إعداماً مجازياً له يفقده مكانته ومسؤولياته في الدولة النبطية كان ردّه واضحاً: «لو فعلتُ ذلك لرجمني قومي» (Josephus, 1998: 528)[١٢]. لذلك جاءت ردة فعله على شرط هيرود منافيةً لمكانته السياسية التي كان من المفترض أن تبعد الأمور الشخصية جانباً، ومنها استغلاله فرار أربعين رجلاً عدّتهم الدولة اليهودية لصوصاً؛ فآواهم بوصفهم سياسيين ثائرين على حكم هيرود (Josephus, 1998: 531)، وهو ما دفع هيرود إلى تشويه سمعة سلي، فرفع شكواه عن قرض مالي كان قد اقترضه سلي (Josephus, 1998: 531)، وعلى إيوائه الأربعين هارباً، إلى الحاكم الروماني في لبنان. وفي أثناء رحلة سلي إلى

١٢- هي إشارة واضحة إلى أن الشعب النبطي لن يقبل شخصاً يدين بديانة غير ديانتهم تكون له المكانة السياسية التي كان يتمتّع بها. ولعل السبب وراء سعي سلي إلى الزواج من أخت هيرود هو كسب صفة الامتزاج بالدماء الملكية (يحيى، ١٩٧٩م: ٨٩).

روما، التي تحتفظ بعلاقة طيبة معه، أرسل هيرود فرقةً عسكريةً دخلت حصناً تحصّن به الثائرون اليهود بأسلوب القوات الخاصة (الكومندوز)، وأحضرتهم إلى الدولة اليهودية، لكن الأنباط أرسلوا فرقةً عسكريةً لإعادة الثائرين مرةً أخرى، إلا أن الفرقة اليهودية هزمتهم، وقتلت منهم خمسة وعشرين جندياً (Josephus, 1998: 531). وما أن علم سلي بهذه العملية ونتائجها حتى نقل الخبر إلى أغسطس بصورة مشوّهة أدت إلى غضبه من هيرود، حتى إنه رفض استقبال سفرائه؛ لذلك أرسل سلي رسالةً إلى الملك عبادة، يشير عليه بعدم ردّ القرض أو تسليم الثائرين (Josephus, 1998: 532). لكن تقلّد الحارثة الرابع مقاليد الحكم في البلاد بعد اغتيال الملك النبطي عبادة لم يكن في مصلحة سلي، فسعى سلي الطامح إلى السلطة إلى العمل على جبهتين: الأولى داخلية، والثانية خارجية. وتتمثّل الأولى في الحارثة الرابع ومؤيديه، فاستخدم أسلوبين مختلفين معهم: أحدهما التحريض المباشر؛ فقد حرّض أتباعه في رسالة بعث بها إليهم على العمل على القضاء على الحارثة، وتسليمه هو عرش الدولة (Lawlar, 1974: 103)، والأسلوب الثاني الاغتيالات السياسية التي ذهب ضحيتها عدد من الأعيان والنبلاء في البتراء (عباس، ١٩٨٧م: ٥٦). أما الجبهة الخارجية، فتمثّلت في القوى الإقليمية، وهي الدولة اليهودية، والدولة العظمى، وهي الإمبراطورية الرومانية؛ فقد استخدم مع القوة الإقليمية، وهي الدولة اليهودية، أسلوب الاغتيالات التي لم تكن موجهةً فقط إلى كبار المسؤولين فيها، بل طالت رمز الدولة آنذاك هيرود؛ فقد أرسل شخصين نبطيين تمكّنا من استمالة كورنثيوس، وهو أحد حراس هيرود، بمبلغ من المال ليغتال هيرود، لكن المصادفة التي أدّت إلى القبض عليه، والتحقيق المقترن بالتعذيب الجسدي، جعلاه يكشف مخطّط سلي (Josephus, 1998: 545). أما الدولة العظمى (روما)، فإن الأسلوب الوحيد الذي عمل عليه سلي -إضافةً إلى حملة التشويه والإضرار بسمعة الحارثة- هو أسلوب الرشوة المتمثّل في الإغراءات المالية؛ فيروي يوسيفوس أن (سلي) دفع أموالاً طائلةً إلى عدد من

رجال البلاط الإمبراطوري؛ سعياً منه إلى استمالتهم إلى كفّته، بل إنه أيضاً -على رواية يوسيفوس- لم يستثنِ الإمبراطور نفسه من الهدايا والوعود (Josephus, 1998: 545).

وهذا الوزير هو الوحيد -على حدِّ علمنا- من القيادات غير الملكية، الذي سكّ عملات خاصة به؛ للمكانة السياسية التي كان يتمتّع بها (Meshorer, 1975: 38-40؛ السلامين، ١٤٣٤هـ: ٥٧-٨٤)، بل كما يبدو أن مواقفه هذه لاقت الاستحسان والتعاطف من عدد من القبائل العربية؛ لأنه -بكلّ بساطة- عُدَّ من المعارضين لروما؛ لذلك أرَّخ بعضهم بأحداث تعود إليه، مثل النقش المكتوب بالقلم الصفوي الذي أرّخه كاتبه بسنة قدوم سلي من روما (العبادي، ١٩٩٧م: ١٤١-١٥١).

وعلى الرغم من علاقة سلي الطيبة والجيدة بروما إلا أنه لم ينجح في محاولاته المستميتة التي سعى من خلالها إلى تشويه سمعة الحارثة، مثل اتّهامه بأن له يداً في اغتيال عبادة. على كلّ حال، انقلب السحر على الساحر؛ فعلى الرغم من المحاولات المستميتة من سلي لتشويه سمعة الحارثة إلا أن الإمبراطور الروماني أنهى معاناة سلي أو طموحه بإعدامه عام ٦ ق. م، خصوصاً عندما اقتنعت روما بأن الوزير كان وراء محاولات الاغتيال والتخريب في المنطقة.

اليمن 𐩺𐩣𐩬𐩩 (جنوب شبه الجزيرة العربية):

اليمن من اليمن والبركة، أو كما صار معناه في الحقبة الإسلامية: الجهة الواقعة على يمين الكعبة، وهي منطقة كبيرة تغطي مساحتها اليوم ٥٢٨ ألف كيلو متر مربع، امتلكت مقوّمات طبيعية تفوق مثيلاتها من مناطق شبه الجزيرة العربية، فتعدّدت مواردها الطبيعية[١٣]؛ لذلك احتلّت مكانتها عبر تاريخ شبه الجزيرة العربية الإقليمية، فكانت إلى ظهور الإسلام المنطقة الأقوى والأكثر هيمنةً،

١٣- لذلك سمَّى اليونانيون هذا الجزء من شبه الجزيرة العربية باسم: Arabia Eudaimon، ويعني: بلاد العرب السعيدة، أو الميسورة، أو المزدهرة (شتلة، ١٩٩٢م: ٥٠٣، هامش ٣).

فوصلت جيوشها إلى منطقة نجد (Ry509، وأيضاً: الأنصاري وآخرون، ١٩٩٩م: ٢٥-٣٤)، وعلاقاتها الاقتصادية وتأثيرها الثقافي إلى أواسط منطقة الحجاز وشرق الجزيرة. وخلال تاريخها القديم، وتحديداً من القرن الثامن قبل الميلاد إلى الخامس الميلادي، وضح بشكل جليّ -حتى في أوقات انحطاطها السياسي- أنها الأكثر تأثيراً في المنطقة. ولما حباها الله من طبيعة متميزة، مقارنةً ببقية مناطق شبه الجزيرة، وقدرة سكانها على التعامل في أحيان كثيرة مع تلك المكتسبات، فقد احتلت مكانةً اقتصاديةً في محيطها؛ لأمرين مهمين: أولهما موقعها الإستراتيجي، الذي يربط شبه الجزيرة العربية بسورية القديمة وشمال مصر، وثانيهما مواردها الطبيعة، مثل البخور ومشتقاته؛ لذلك كانت تأتي السفن من آسيا (الصين والهند) إلى موانئها، فتنقلها إلى الشمال من خلال قوافل لا يُسمح لغير أهل اليمن بمزاولتها (Strabo, Geography, 16, 4: 25)، فكانت لها اليد الإقليمية الطولى على الطريقين: البحري في البحرين (بحر العرب) والبحر الأحمر، والبري الذي يبدأ من اليمن وينتهي في طرفه الشمالي قبل تفرّعاته في غزة.

وكان مما حباها الله البخور ومشتقاته؛ مثل: اللبان، والمرّ، وغيرهما[١٤]، وهي منتجات استخدمها الإنسان القديم، سواء في الشرق الأدنى القديم من السومريين والأكاديين والآشوريين في بلاد العراق، أم من المصريين القدماء في مصر، وكذلك في فارس القديمة، أم في الشرق الأقصى؛ مثل: وادي السند، والصين، وغيرهما (قروم، ٢٠٠٨م: ١)[١٥]. ولتعدّد استخدامات البخور واللبان المر فقد ازدادت أهمية هذه المنطقة؛ إذ لم تكن استخداماته متعلّقةً بالأمور الدينية في المعابد فقط، أو ما شاع من استخدامه في المعابد بسبب الاعتقاد الوثني المنتشر آنذاك من

١٤- للمزيد عن هذه المواد انظر: (Kennett, 1975; Muller, 1979: 79- 92; Van Beek,1960 : 75-95).

١٥- وجدت أدلة على استخدام البخور ومشتقاته في معظم أنحاء العالم القديم؛ فعلى سبيل المثال: عُثر على مباخر برونزية تعود إلى أسرة شانج الصينية (١٦٠٠- ١٠٣٠ ق. م)، وكذلك في السند؛ إذ اكتشف البخور على التماثيل الهارابانية Harappan. أما في أوربا فعُثر على مباخر في المقابر المينوية Minoan في جزيرة كريت. وقد وصل استخدام البخور إلى القارة الأمريكية عند شعوب المايا المكسيكية (قروم، ٢٠٠٨م: ١-٢).

أن روح الميت تنتقل إلى السماء مع دخان البخور أو التحنيط، بل استخدم بشكل واسع في النواحي الطبية لعلاج عدد من الأمراض، وفي التطهير، وخلال المناسبات الاحتفالية القومية وغيرها.

الفصل الثاني

الحملة

من الأمور الغريبة التي لم نجد لها تفسيراً واضحاً أن المصادر المحلية لم تُشِرْ -لا من بعيد أو قريب- إلى هذه الحملة المهمة، أو لنقل بشكل أصحّ: إننا لم نجد إلى الآن مصدراً محلياً يشير إليها، وقد حاول بعض الدارسين -منهم على سبيل المثال لا الحصر: جلاسر (نقلاً عن: علي، ١٩٧٧م، مج٢: ٥٨)، والنعيمات (النعيمات، ٢٠٠٠م: ٩٠)، والسلامين (السلامين، ٢٠١٣م: ١٣٧)، والعتيبي (العتيبي، ٢٠١١م: ٤٠٦)[١٦]- إعطاء افتراضات متعدّدة لعدم ذكر الحملة في المصادر المحلية، منها اعتقاد أنها لم تشكّل خطراً حقيقياً على الممالك اليمنية، وأنها كانت لأهل اليمن حدثاً عابراً، أو محاولات تفسير النقوش بطريقة ملتوية؛ كقول جلاسر: إن لفظتي (ذ ش م ت)، و(ذ ي م ن ت)، الواردتين في النقش السبئي (Res 3022؛ وانظر أيضاً: مهران، ١٩٧٩م: ٣١٢) تشير الأولى منهما إلى رومان الشام، والثانية إلى السبئيين[١٧]. لكنّنا نتّفق تماماً مع جواد علي (علي، ١٩٧٧م: ٥٨) في الحذر من إعطاء تفسيرات وافتراضات قد تدحضها في مقبل الأيام معاول الباحثين والدارسين، خصوصاً أن التنقيبات الأثرية في اليمن قليلة مقارنةً بالدراسات التي تناولت الآثار الشاخصة والظاهرة[١٨]. لذلك، فإن مصدرنا الوحيد عنها جاء من الطرف الآخر (الغربي)، وتمثّل ذلك في التقارير الرسمية؛ مثل: نقش (انقره) العائد إلى الإمبراطور نفسه Monumentum

---

١٦- لعلي أشير هنا إلى كورنيليوس الإغريقي، الذي عُثر عليه في براقش، وقد عدّه باورسك من بقايا الحملة الرومانية (نقلاً عن: عقاب، ١٩٨٩م: ١٦٨).

١٧- نتّفق مع سيد (سيد، ١٩٩٣م: ٣٨١) بأن معنى هاتين الكلمتين في المسند الجنوبي هو على التوالي: الشام، واليمن، كما أن (ي م ن ت) تعني أيضاً: الجنوب (انظر أيضاً: بيستون وآخرون، ١٩٨٢م: ١٦٨)، ولا علاقة لها بروم الشام، ولا يعدو الأمر تعرّض قافلة يمنية للاعتداء من القبائل في الشمال، التي تستقرّ بالقرب من الطريق التجاري (الخثعمي، ٢٠٠٠م: ٦٣، ٩٩، هامش ٢٢١).

١٨- ولعلي أضرب مثلاً على ضرورة أخذ الحذر والحيطة من الروايات التاريخية مسرحية (راشمون) اليابانية للمخرج الياباني الشهير أكيرا ساو، التي تحوّلت فيما بعد إلى فلم لقي رواجاً كبيراً، ومضمونها يدور حول روايات شهود عيان لجريمة حدثت في هذه القرية، تبيّن الاختلاف الذي يصل أحياناً إلى التناقض، بل إن بعضها يتضادّ مع بعضها الآخر كأنها لا تمتّ بأيّ صلة إلى الجريمة.

Ancyranum[١٩]، أو الكُتّاب الكلاسيكيين، ولعلي أشير هنا إلى أن من إشكاليات المؤرخين في الحقبتين: الرومانية، والكلاسيكية، انتهاجهم في بعض الأحيان العمومية في التاريخ الروماني، وأحياناً في تفاصيل دقيقة؛ لأن هذه الكتابات تكاد تكون مقتصرةً على طبقة النبلاء والنخبة فقط؛ فهي أقرب إلى التقارير في بعضها؛ لمساعدة صاحب القرار على اتّخاذ قراره المناسب، وهؤلاء الكُتّاب الذين كتبوا عن الحملة هم:

١- المؤرخ اليوناني استرابون / استرابو Strabo:

عاش استرابون، المولود في مدينة أماسية -عاصمة مملكة تورانيون على الساحل الجنوبي للبحر الأسود- خمسة وثمانين عاماً، أمضى خمسة وثلاثين عاماً منها خارج مسقط رأسه، منها خمس سنوات في مصر (٢٥ ق. م- ١٩م). وهو يُعدُّ أيضاً جغرافياً إغريقياً رواقي المذهب، وأحد علماء الإسكندرية، الذين شكّلوا جزءاً من العلماء الكلاسيكيين، وهو ممن مثّلوا في الخطّ الروائي الأدبي الذي شقّه هيرودوت الملقب بأبي التاريخ.



استرابون

ويقول العابد (الموسوعة العربية): إن كتاباته المحصورة في عملين ضخمين، هما: (مقتطفات تاريخية)، الذي جاء في ٤٧ كتاباً،

١٩- هي وثيقة صورة من الأصل، الذي أمر أغسطس بحفره على البرونز؛ كي توضع في ضريحه Mousoleum، عُثر عليها في أنقرة، كما عُثر على صور أخرى لهذه الوثيقة: اثنتان منها في آسيا الصغرى، إحداهما كُتبت باللغة اللاتينية، والأخرى باليونانية (صدقي، ١٩٨٧م: ٢٥٥؛ الهذال، ٢٠٠٢م: ٩٦، هامش ١٢٤).

و(موسوعته الجغرافية)، وهي في ١٧ كتاباً، تميّزت بأنها «تمثّل أصدق رواية جغرافية تاريخية عن منطقة المتوسط والأقاليم المجاورة» (العبادي، ١٠٨١م: ١٧-١٨)، بل إن حملات القائد ماركوس أنطونيوس والإمبراطور أغسطس اعتمدت -كما تقول المصادر الرومانية- اعتماداً كاملاً على كتابات استرابون[٢٠].

ولما له علاقة بموضوعنا، وهي الحملة الرومانية، تميّز استرابون بأنه كان معاصراً للحدث؛ فمصادره فيما كتبه جاءت من التقارير الرسمية التي صدرت عن قيادة الحملة، ومقابلاته الشخصية مع الجنود العائدين من شبه الجزيرة العربية، إضافةً إلى ما زوّده به صديقة آيليوس جاللوس. وأصدر استرابون، الذي عاش خمس سنوات في مصر، لازم مكتبة الإسكندرية خلالها، وكان ممن عاصر عدداً من ولاة مصر الرومانيين، عدداً من الكتب، شكّل بعضها عناصر أو فصولاً من كتابيه العظيمين في التاريخ والجغرافيا، منها أحداث ثوره طيبة، ومنها ما كتبه عن رحلته في أثناء مرافقته الحاكم الروماني إلى بلاد النوبة ومنابع النيل.

٢- بليني Pliny:

اسمه كايوس بلينيوس سِكوندوس، اشتهر باسم (بليني الأكبر)، كتب كثيراً من الأعمال التاريخية والفنية التي لم يتبقَّ منها سوى ٣٧ مجلداً من التاريخ الطبيعي (العبادي، ١٩٨١م: ٢٣)، وقيمته الوحيدة الآن هي أنه يكشف عن المعرفة العلمية خلال الحقبة التي



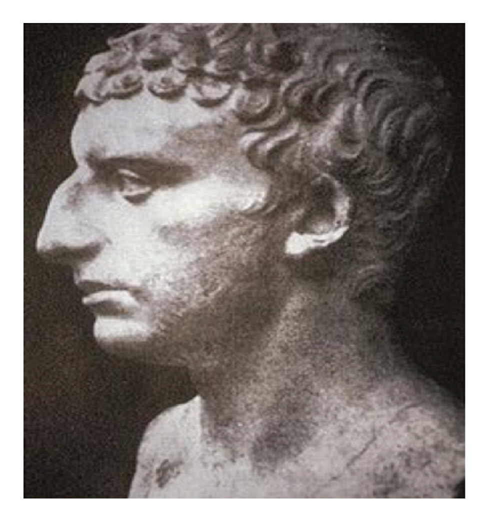
بليني

٢٠- هو ما تكرّر من الغربيين في أثناء الحرب العالمية الثانية؛ إذ يُقال: إن قادة جيش الحلفاء استعانوا بمؤرخين وآثاريين لتحديد الطريق ذاته الذي سارت عليه الجيوش اليونانية والرومانية عند غزوها مصر العربية.

عاشها. وقد وُلد بليني في مدينة نوفوم كوموم بشمال إيطاليا. ومع أنه كان يتيم الأب إلا أن حُسْنَ حظّه قاده إلى أن تبنّاه أحد النبلاء -كان والياً لألمانيا العليا- فعلّمه حتى حصل على مستوًى علمي راقٍ؛ لذلك تمكّن من تقلّد عدة وظائف مهمة خلال حياته الطويلة، بدأها بمنصب محامٍ، وبعدها تقلّد منصب القنصلية وهو في التاسعة والثلاثين من عمره، كما أنه تقلّد منصب أدميرال (قائداً لبعض وحدات الأسطول) في الجيش الروماني (للمزيد انظر: علي، ١٩٦٤م: ٢٧-٢٨؛ Bloom, 2010: 6-20).

٣- جوزيفوس اليهودي Josephus:

وُلد هذا المؤرخ والعسكري، الذي يُوصف أحياناً بالأديب، عام ٣٨م في مدينة القدس (أورشليم). ومع أنه عاش سنوات في روما إلا أن هذه الإقامة لم تمنعه عند عودته إلى فلسطين (يهوذا) من الالتحاق بالمتمردين اليهود ضد الإمبراطورية الرومانية، وعُين حينها قائداً لمنطقة الجليل. وتكمن طرافة سيرته الذاتية وغرابتها -وهي السيرة التي يُفترض أن تقود القارئ إلى الاقتناع بكتاباته، أو أخذ الحذر الجادّ من رواياته- في التحاقه بعد عودته من روما -بسبب يهوديته- بالمتمردين اليهود ضد الإمبراطورية الرومانية (للمزيد من المعلومات عن حروب الرومان واليهود انظر: مزعل، ٢٠١٤م: ٢٠-١٤٢)، وإلى مواقفه هذه التي نعتقد أنها تُعزى إلى تذبذبه بين ولائه الديني لليهودية، وولائه الفكري للرومان، وقد عدّه الرومان معتدلاً، بينما عدّه المتمرّدون خائناً، بل إن رفاقه في التمرّد، وعلى رأسهم يوحنا



جوزيفوس فلافيوس

الجشمي، عملوا على التخلّص منه، مرةً بمحاولة اغتياله، وأخرى بالسعي إلى إقالته من قيادة منطقة الجليل. ومما يُقال عنه: إنه خلال حصار الرومان مدينة يودفات (يوتاباتا) الجليلية حاول إقناع اليهود بالاستسلام، لكن وجهة نظره هذه لاقت رفض الأغلبية، فاضطرّ ومن معه بعد سقوط المدينة في يد الرومان إلى الهرب مع مجموعة من رفاقه، والاختفاء في إحدى المغارات، وحينما عثر عليهم الرومان فضّل هؤلاء الانتحار وقتل أنفسهم على الاستسلام، فاتّفقوا على أن يقتل بعضهم بعضاً، وتقول القصة: إن يوسفوس ورفيقه قرّرا الاستسلام، وعدم قتل أحدهما الآخر. ويُقال: إن تعاونه الكامل والوثيق مع الرومان حال دون إعدامه، وهو ما حدا بالعامة من اليهود إلى عدِّه خائناً (للمزيد انظر: حمدي، ٢٠٠٥م: ٣-١١).

ولتسويغ مواقفه هذه، ومحاولة منه لإرضاء قومه اليهود، ضمّت كتاباته بعد وصوله روما عام ٧١م للمرة الثانية كثيراً من التحيّز لهم؛ فقد اشتهر بكتبه عن تاريخ منطقة يهودا، والتمرّد اليهودي على الإمبراطورية الرومانية، التي تلقي الضوء على الأوضاع والأحداث في فلسطين خلال القرن الأول للميلاد إلى حين انهيار مملكة يهوذا، وظهور الديانة المسيحية، والتغييرات الكبيرة في اليهودية بعد إخفاق التمرد على الرومان ودمار هيكل هيرودس، وأبرزها كتاباه: (تاريخ حرب يهودا ضد الرومان)، و(عاديات يهودا)؛ فقد تناول في الأول، المعروف أيضاً باسم (حروب يهودا)، وصدر باللغة اليونانية عام ٧٨م، أحداث آخر أيام حكم الحشمونيين على منطقة يهودا، واحتلال الرومان لها، إضافةً إلى التمرد اليهودي عليهم، وإخفاقه إلى سقوط آخر تحصينات المتمردين. أما الكتاب الثاني، الحائز على مكانة طيّبة عند المسيحيين؛ لأنه أقرّ بوجود يسوع، فقد صدر عام ٩٤م، وعَرَض فيه تاريخ أتباع الديانة اليهودية.

٤- ديو كاسيوس Dio Cassius:

مؤرّخ روماني بيثاني Bithynia الأصل، وُلد في نيقية، التي تقع حالياً شمال


ديو كاسيوس

تركيا في آسيا الصغرى، وتُعرف باسم (بازنيك) (بن صراي، ١٩٩٨م: ٣٠)، وكان ذا مكانة في المجتمع الروماني، انتُخب مرتين لمنصب القنصلية، الثانية كانت في عام ٢٢٩م. اشتهر بمؤلَّفه الضخم الموسوم بـ(تاريخ روما)، الذي جاء في ثمانين مجلداً، ولعلّ ما ساعده على كتابة تاريخه هذا إتقانه اللغة اليونانية، وتقلّده عدة مناصب في أنحاء مختلفة من الإمبراطورية (العبادي، ١٩٨١م: ٢٥-٢٦).

وبعد هذا المدخل عن مصادرنا عن الحملة بقي أن أشير إلى أن هناك -مع ندرتهم- من يرى أن الأمر قد التبس على المؤرّخين؛ إذ إن هذه الحملة التي رافقها استرابون كانت حملةً قام بها جاللوس الآخر، الذي قاد حملةً على جنوب الصعيد، ودليلهم على ذلك وصف استرابون السبئيين بأنهم مسالمون، ولا يقاتلون بالأسلحة، بل بالعصيّ، وهذا القول يتناقض وما نعرفه عنهم؛ فهم على دراية واضحة بالقتال، وأنهم أهل قتال وغزو؛ لذلك عدّوا وصفه هذا خاصاً بالجاليات اليمنية السبئية، التي سكنت مصر، خصوصاً صعيدها، والنوبة من الحبشة، بمعنى أن الوصف خاصّ برحلته إلى بلاد النوبة ومنابع نهر النيل. وهذا القول لم يجد القبول من المؤرخين الجادّين؛ فأسماء الأمكنة -مع غرابتها، وأخطاء لفظها، والبيئة الجغرافية التي تحدث عنها- هي بكلّ تأكيد تقع جنوب شبه الجزيرة العربية.

الدوافع

إن لكلّ حدث هدفاً (سبباً)، أو أهدافاً (أسباباً)، منها ما هو ظاهر مُعلَن،

ومنها ما هو مخفيّ، ومنها ما يمكن استنتاجه من مجريات الأحداث ونتائجها، ولعلّ الهدف الظاهر المُعلَن ما أشار إليه المؤرخ الكلاسيكي استرابون من أن رغبة الإمبراطور أغسطس كانت وراء الحملة؛ فمنذ أن نما إلى مسامعه تقرير(٢١) أُعدَّ له عن غنى بلاد اليمن، وأنها تحتكر التجارة في عدد من السلع المهمة، حتى رأى العمل على تحقيق أحد ثلاثة أمور، هي: إقصاء بلاد جنوب الجزيرة عن هذه التجارة، أو إخضاعها للعمل لمصلحته، أو أن يسيطر جيشه على هذه المنطقة. لذلك -كما قال استرابون- أمر الإمبراطور أغسطس واليه في مصر جاللوس بتجهيز حملة لتعرّف شعوب تلك البلاد العربية والإثيوبية وأقاليمها، وجعلها شعوباً صديقةً. وهكذا تتمكّن روما من تكوين علاقة مع أصدقاء أثرياء (عن طريق المحالفة)، أو السيطرة على أعداء أثرياء (عن طريق الحرب)، إضافةً إلى ما يعتقده بعض المؤرخين من سعي الإمبراطور إلى تحقيق مجدٍ شخصي له لم يسبقه إليه أحد عن طريق احتلال شبة جزيرة العرب (الأرياني، ١٩٨٤م: ٥٩؛ الهذال، ٢٠٠٢م: ٨٠؛ بهاي، ٢٠١٠م: ٤٧).

وإن نحّينا أقوال استرابون -وهي الأسباب المعلنة- جانباً فلعلنا نلقي الضوء على الأهداف المخفية لهذه الحملة التي تتلخّص في هدفين: إستراتيجي، واقتصادي، وذلك على النحو الآتي:

١- الأهداف الإستراتيجية:

أدّى سقوط بابل الكلدانية على يد قورش الأخميني (الفارسي) إلى انتهاء الحقبة السامية في حكم الشرق الأدنى، فحلّت محلها حقبة الحكم الآري على يد قورش ملك فارس، الذي يعود إليه الفضل في تكوين الجنس الآري أعظم

٢١- كان أغسطس قد أمر (ايسادرو)، و(يوبا) ملك موريتانيا، بتقديم معلوماتهما عن الشرق وشبه الجزيرة العربية إلى جاللوس، الذي سيقود حملةً عسكريةً إلى شبه الجزيرة العربية بعد الانتهاء من إخضاع أرمينيا (Pliny, Natural, 6. 141). وقد وصف سرنجر (تحت النشر) أمكنةً مرّ عليها جاللوس لم يردْ ذكرها قبل هذه الحملة.

إمبراطورياته، فحكم منطقةً شاسعةً. وبعد سيطرتها على المنطقة أجرت فارس تعديلاً سياسياً أشبه ما يكون بما نسمع عنه اليوم من اتفاقية (سايكس بيكو) أو (الشرق الأوسط الجديد)؛ فقد أعادت اليهود أو بني إسرائيل من السبي البابلي إلى فلسطين، وبذلك أعادت خلق كيان سياسي كان قد قضى عليه الآشوريون. ومن المعلوم أن سياسة القيام بالتغيرات الديموغرافية كانت اختراعاً آشورياً يعتمد على تهجير السكان من مناطقهم التي عاشوا فيها إلى مناطق أخرى تكون أحياناً ذات بيئة مختلفة تماماً عما تعوّد عليه هؤلاء السكان، وهذا التغيير الديموغرافي أو التهجير من باب توقيع العقوبة على القبيلة أو الشعب المهجر. ويجب هنا توضيح أن الأمر في حالة اليهود مختلف كليةً؛ فقد أعادوا زرع القوة أو الدولة اليهودية مرةً أخرى بهدف إعادة موازين القوى، وبناء تحالفات جديدة[٢٢].

وهكذا استمر هذا الوضع في الشرق الأدنى القديم؛ إذ بعد الإمبراطوريات الكبيرة التي اعتادها الشرق (الأكادية، والبابلية، والآشورية، والبابلية الكلدانية) حلّت الدويلات السامية المحلية الصغيرة، على الأقلّ في الرقعة الجغرافية. ومع التبعية السياسية لهذه الدويلات الصغيرة لطرف أو آخر إلا أنها نجحت -إلى حدٍّ كبير- في المحافظة على هويتها القومية، ومفاهيمها الاجتماعية والحضارية؛ لذلك حافظت على لغاتها السامية، ولم تتبنَّ ما هدّد لغاتها أو دياناتها من أيّ طرف. استمرت الهيمنة والتفكّك بين دويلات المنطقة إلى أن آلت الأمور إلى الإمبراطورية الرومانية[٢٣]، وأصبحت هذه الإمبراطورية متنفذةً في الشؤون الداخلية، فأصبح ما يقلق الحكومات الحليفة ويزعجها دافعاً إلى تدخل الرومان؛ لأن انتشار القراصنة

٢٢- أعاد الفرس هنا إقامة دولة كانت قائمةً من قبل، ولا نعرف بالتحديد هدفهم من ذلك: هل هو إضعاف النظام السياسي في المنطقة وتفتيته بمختلف القوميات والأعراق، أو محاولة منهم للاستفادة من خبرات اليهود في التقنية، ومكافأتهم على دورهم في إضعاف بابل، وجعلها هدفاً سهلاً لهم، أو مجرد إعادة ما اعتقدوا أنه حقّ لليهود، أو قوة تابعة لهم؟.

٢٣- نشير هنا إلى أن مرحلة تفكّك الشرق الأدنى القديم وتشرذمه (بلاد الرافدين، وسورية الكبرى، وشبه الجزيرة العربية) استمرت مدةً تزيد على الألف عام من ٥٠٠ ق. م إلى ٦٠٠م عند ظهور الإسلام.

بشكل أثّر في حركة السفن التجارية، ورفع التكاليف المتعلقة بالنقل، دفع السلطات الدولية، ومنها الرومانية، إلى التدخل لتأمين طرق التجارة البحرية والبرية التي ربطت بين شبه الجزيرة العربية وشرق إفريقية والهند والصين[٢٤]، وإلى تطهير البحر الأحمر من القراصنة، كما فعل القائد الروماني بومبي عندما طهّر البحر الأبيض المتوسط من القراصنة؛ فهؤلاء القراصنة -كما تذكر المصادر- كانوا يجتمعون في سواحل الحجاز واليمن، وهو ما ساعد على ارتفاع الأسعار بشكل أثّر في الاقتصاد الغربي؛ لذلك اضطرت السفن إلى أن تسير على شكل قوافل مع حراسة مسلحة؛ فأدى ذلك إلى زيادة تكاليف النقل البحري، وهو ما أثر في أسعار السلع، فوصل ارتفاعها إلى أضعاف سعرها الحقيقي (Pliny, Natural, 6.26؛ الهذال، ٢٠٠٢م: ٧٣).

والواقع يشير إلى أنه يصعب كثيراً تطهير البحر الأحمر من القراصنة، والسيطرة عليه، وتحويله إلى بحيرة رومانية، إلا بعد الهيمنة على ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية، أو على الأقلّ ترويضها؛ أسوةً بما فعلوه في سواحل البحر الأبيض المتوسط عندما حوّلوه إلى بحيرة رومانية بعد سيطرتهم على قرطاجنة في شمال إفريقية.

ولأن الرومان عدُّوا أنفسهم ورثة البطالمة على البحر الأحمر، الذين تعود خبرتهم واحتكاكهم به إلى القرن الثالث قبل الميلاد، فقد عملوا على معرفة تفاصيله من خلال ما قاموا به من مسح ديمغرافي واجتماعي للمنطقة، بل إن البطالمة هم من أسّس ميناء هورمس (النعيم، ١٩٩٢م: ٢٦٠)، المتشابه مع هرمز في مدخل المحيط مع الأجناس الهندوأوربية وحضارات شمال الهند. لذلك لم تجد القيادة الرومانية، التي سيطرت وهيمنت تماماً على أراضي الإمبراطورية البطلمية بُداً من التدخل لإعادة الأمن والاستقرار في المنطقة عبر وضع حدٍّ لأعمال القرصنة، ورغبةً منها في تحييد اليمنيين، ومنعهم من احتكار السلع الآتية من الشرق

٢٤- هو قول كرّره عدد من الباحثين، منهم: (شتلة، ١٩٨٤م: ١٠٤-١٠٤؛ الهذال، ٢٠٠٢م: ٧٥؛ بهاي، ٢٠١٠م: ٤٨).

الأقصى، بل احتكار السيطرة على الطريقين التجاريين البري والبحري، فكان من أهدافهم الإستراتيجية القضاء على هذا الاحتكار، الذي تعامل اليمنيون معه بشكل خاطئ؛ فلم يسمحوا -كما ذكر الكُتّاب الكلاسيكيون (Anderson, 1979: 247-254)- لغير السفن اليمنية بنقل البضائع عبر باب المندب، وتحديداً تلك الآتية من الصين والهند؛ إذ كان عليها تفريغ حمولاتها في الموانئ اليمنية، ثم تُنقل عبر سفن محلية إلى الغرب؛ فلم يتعاملوا مع هذا الأمر بصورة تخدم الطرفين، وهو ما أُسمِّيه بالخطأ الجيوسياسي، والجيواقتصادي؛ فمد (أسد اريا..... أسد اريا) مخلبيه على كلّ من: ميناء هرمز على الخليج، وميناء هورمس على البحر الأحمر. وبهذه الإستراتيجية تحقّق أمران مهمان، هما:

الأول: الربط بين مناطق النفوذ والممتلكات الرومانية في بلاد الشام ومصر وشمال إفريقية.

الثاني: الانتصار العسكري والسياسي والاقتصادي في وجه عدوّهم التقليدي (الإمبراطورية الفارسية).

٢- الأهداف الاقتصادية:

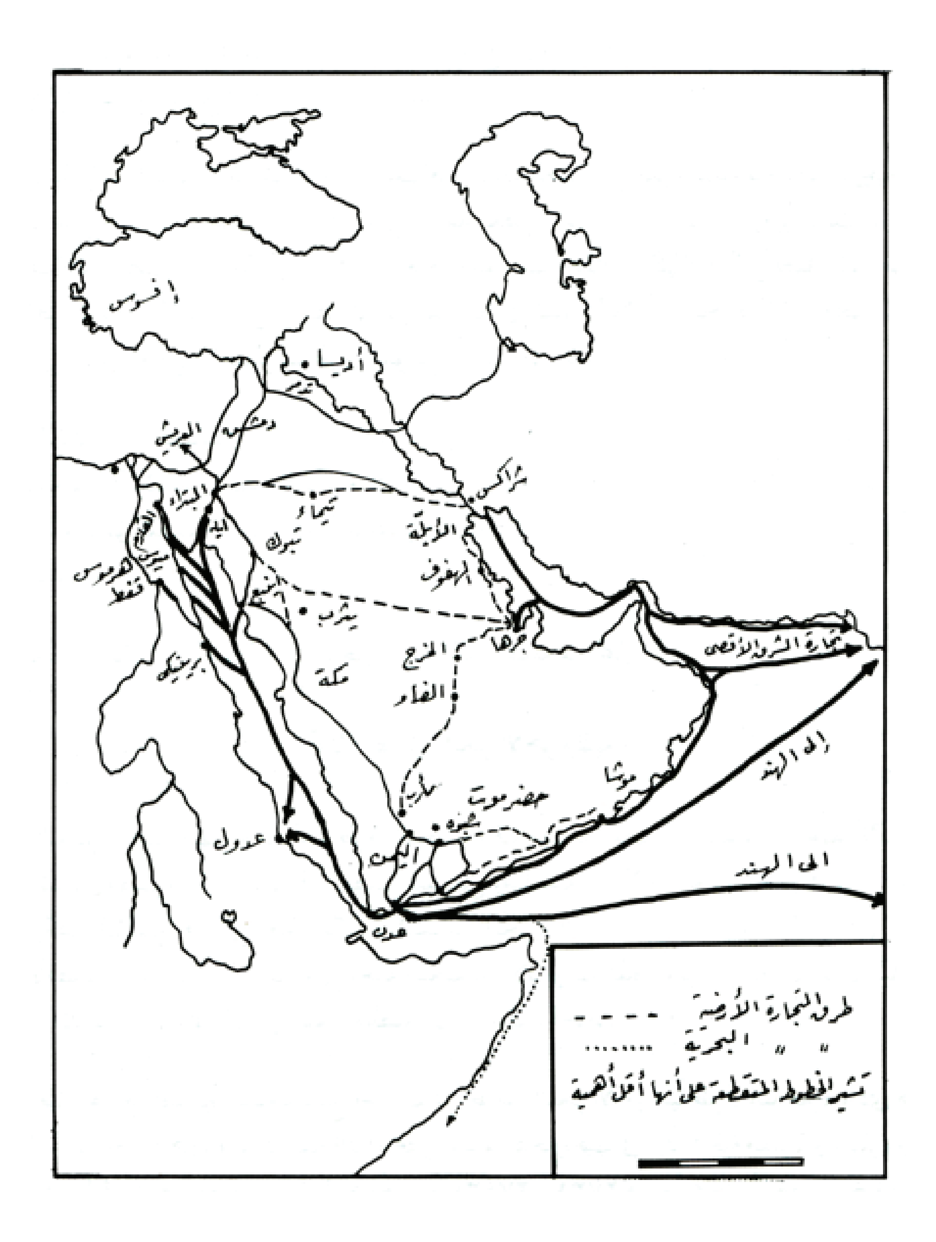
أعطى الكُتّاب الكلاسيكيون في كتاباتهم صورةً معينةً، أقرب إلى الصورة الرومانسية منها إلى الواقع الحقيقي، مثل قولهم: إن فيها قصوراً رائعةً ذات أبواب وجدران وسقوف مرصّعة بالعاج والذهب والفضة والأحجار الكريمة؛ فها هو ذا استرابون يقول عن الموقع الجغرافي لسبأ: «إن بلاد سبأ هي أخصب الأراضي على الإطلاق»، أما حال شعبها فوصفه قائلاً: «من نقل هذه التوابل والطيوب أضحى السبئيون وأهل جرهاء أغنى الناس قاطبةً» (Strabo, Geography, 16, 4: 19). أما أجاثارخيوس في القرن الثاني قبل الميلاد، فقال عنهم: «لا توجد أمة أكثر ثراءً من السبئيين وأهل جرهاء الذين كانوا يتعاملون في كلّ شيء يتّصل بالتجارة بين آسيا وأوربا» (نقلاً عن: الهذال، ٢٠٠٢م: ٧٧، هامش ١٣١)، بينما

أشار بليني في وصفه حال السبئيين إلى «أنهم في عمومهم أغنى أجناس العالم؛ لأن ثرواتٍ واسعةً تتجمّع في أيديهم من روما وفارس لقاء ما يبيعونه لهذين البلدين من نتاج البحر أو من غاباتهم دون أن يشتروا شيئاً مقابل ذلك» (Pliny, Natural, 6:162). ووصف ديودروس الصقلي الجزيرة، وهو يقصد جنوبها، قائلاً: «إن الجزيرة غنية بالذهب الذي بلغت نقاوته حداً لم تكن هناك حاجة لصهره»[٢٥]، وفي وصفه الشعب السبئي قال: «إن السبئيين يتفوّقون على الشعوب الأخرى بالثراء والمفاخر الأخرى» (Diodorus, Historkie, B3: 47). وهذه الأهداف/ الأسباب نلخّصها في الآتي:

الأول: سيطرة المنطقة -آنذاك- على طريق تجاري مهم، وهو (طريق البخور)[٢٦]، ويُعرف أيضاً باسم (طريق التجارة العظيم)، ويبدأ في شبه الجزيرة العربية من موانئ جنوب شبه الجزيرة، وأبرزها ميناءا: عدن، وموزا (المخا حالياً)، ومن هذه الموانئ يأخذ طريقه ماراً بشبوة، وتمنع، ومأرب، ومعين، ثم إلى وسط الحجاز وديدان، وبعدها مدين، ثم أيلة (العقبة)، منتهياً بالبتراء حيث ينقسم إلى قسمين: قسم يتّجه إلى الشمال، والآخر إلى الغرب يتّجه إلى غزة، وبعدها إلى رينوكولوا (العريش حالياً).

٢٥- لم يُنعم الله سبحانه وتعالى على شبه الجزيرة العربية بالثروات الطبيعية فحسب، بل ميّزها أيضاً بجودتها، وفي عصرنا الحاضر ميّزها -ممثّلةً في الخليج العربي- بثروة النفط؛ فعلى سبيل المثال: تحتوي البئر العربية على ١٧ ألف برميل مقارنةً بآبار النفط الأمريكية، التي تحوي ٣٥٠٠ برميل فقط. وكذلك بلغ سمك الطبقات الحاوية للنفط في البلاد العربية ألف قدم، بينما بلغ في الدول الأخرى ٢٠٠ قدم. وأخيراً، نشير إلى أن النفط السعودي، الذي يُعدّ حسب الدراسات من أنقى أنواع النفط الخام الخفيف وأفضلها- تبلغ أعماق آباره سبعة آلاف قدم، بينما يبلغ عمق البئر النفطي الأمريكي ٢٢ ألف قدم.

٢٦- للمزيد من المعلومات عن هذه الطرق التجارية وتأثيراتها في ممالك المنطقة وشعوبها راجع: (الخثعمي، ٢٠٠١م: ٤٣-٧٤)، الذي ناقش -بشكل لافت- تأثيرات الطرق التجارية في المنطقة وشعوبها، ولخّصها في الآتي: التأثيرات السياسية، والتأثيرات الاقتصادية، والتأثيرات الاجتماعية، والتأثيرات الدينية، والتأثيرات الثقافية، والتأثيرات المعمارية، والتأثيرات الفنية. وانظر أيضاً: (مكلاوغن، ٢٠١٤م: ١٢١-١٦١).



طرق تجارة شبه الجزيرة العربية القديمة (نقلاً عن: غلاب، ١٩٨٤م: ١٩٢)

الثاني: احتكار العرب، ومنهم اليمنيون القدماء، تجارة البخور والطيوب واللبان والمر، كما أن بلاد العرب في موقع متوسط بين شبه القارة الهندية وشرق إفريقية وبلاد الشام، فتُجمع عندهم تجارة الهند والصين وشرق إفريقية، ثم تنقل إلى سورية والعراق ومصر وسواحل البحر الأبيض المتوسط؛ لذلك سعى الرومان من خلال هذه الحملة إلى السيطرة على الطرق التجارية لتلك السلع، ابتداءً من الموانئ العربية الجنوبية إلى شواطئ البحر المتوسط الشمالية.

الثالث: اشتهارها بمحاصيل ذات قيمة تجارية عالية، مثل: البخور، والمر، والصمغ، واللادن (الطيوب والتوابل)[٢٧]، وهي سلع تشبه البترول في أيامنا هذه، والفحم في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين. ومما زاد من أهميتها أنها مواد تدخل في كثير من جوانب الحياة لإنسان تلك العصور؛ ففي الجانب المتعلق بالحياة الدينية درج القدماء على استخدام هذه المواد عند الطقوس التعبدية، إما تقرّباً وإما تطهراً من الذنوب والآثام، وكان شائعاً استخدامها في الطقوس الخاصة بدفن الميت أو حرقه؛ فقد أحرق الإمبراطور الروماني نيرون في جنازة زوجته بوبابيا كميةً تفوق ما ينتجه العرب من البخور خلال عام كامل (قروم، ٢٠٠٨م: ١٩). وكذلك كانت تُستخدم في الاحتفالات الخاصة بالأفراد أو العامة المتعلقة بالدولة أو الملك.

وتكمن أهمية هذه المواد أيضاً في أمرين مهمين: أوّلهما التطهير؛ فكما هو معلوم تنتشر الروائح الكريهة في الأجواء الحارة؛ فلم يجد إنسان تلك العصور إلا البخور ومشتقاته للتخلّص من هذه الروائح، فها هو ذا الملك المصري في القرن الثامن قبل الميلاد، وتحديداً بعد تخريب مدينة ممفيس، يصدر أوامره بتطهير المدينة باستخدام النطرون والبخور (قروم، ٢٠٠٨م: ١٠)، أو ما كتبه الغربي ترتوليان: «إذا ضايقتني رائحة أيّ شيء فما عليّ إلا أن أحرق شيئاً من شبه الجزيرة العربية» (مونرو، ١٣٩٦هـ: ٣٧). وثانيهما أنها مواد تدخل في صناعة العقاقير الطبية،

٢٧- أدخل الرومان التوابل في أطعمتهم، وأصبحوا يعتمدون عليها، حتى إن متخصّصاً في فنّ الطهي وضع كتاباً سمّاه (أبيكيوس/ Apicius) أصبح عماد فنون الطبخ الرومانية إلى القرن الثالث الميلادي (الناصري، ١٩٨١م: ١٠).

وتحديداً الأدويـة؛ فعلى سبيل المثال: يدخل اللبان في وصفات علاجية لأمراض متعددة (الكدمات، والخُراج، والجروح، وكسور الأنف، وشلل الأطراف، والبواسير، وغيرها)، إضافةً إلى أنه فعّال مضاداً للتسمّم (قروم، ٢٠٠٨م: ١٩)[٢٨]. ومما يشير إلى أهمية اللبان، وأثمانه الغالية، أن الوثائق دلّت على أن المصانع كانت تفتّش العمال عند مغادرتهم المصنع الذي يُصنع فيه (مونرو، ١٣٩٦هـ: ٣٧). وكذلك المرّ، المعروف بـ(murru) في الأكادية، استُخدم أيضاً في الأدوية الطبية عند الآشوريين واليونانيين والرومان في علاج كثير من الأمراض؛ مثل: البثور، وتقرّح اليدين أو القدمين، وفي أمراض العيون والأنف، وغسل الفم، وغيرها (قروم، ٢٠٠٨م: ٢٧)[٢٩]. وهكذا سيطرت الممالك الجنوبية على سلع مهمة، هي:

- **البضائع الآتية من الهند والشرق الأقصى:** التوابل، والأفاويه، والحجارة الكريمة، والذهب، والعاج، وخشب الصندل، والحرير.
- العطور، والأطياب، وخشب الأبنوس، وريش النعام، والعاج، **الآتية من شرق إفريقية.**
- **سلع جنوب شبه الجزيرة العربية:** الطيوب، والبخور، والتوابل، والذهب، والأحجار الكريمة.

الرابع: استغلال حكام الممالك العربية الجنوبية غير المسؤول[٣٠] موقعها المتوسط

٢٨- دلّت أبحاث تلك العصور على نجاح اللبان في علاج عدد من الأمراض، ومن هذه الأبحاث: محاضرات طبيب إغريقي تُرجمت محاضراته إلى السريانية، وكذلك دراسات الطبيب المسلم ابن سينا، الذي أكّد أن اللبان يعالج عدة أمراض؛ مثل: الأورام، وقرح الرأس. والثابت لديهم أن بذوره مفيدة لتنقية الحلق، وأن قشرته مكوّن أساسي في أدوية النزيف. أما رماده، فيستخدم مرهماً لعدة أغراض (قروم، ٢٠٠٨م: ٢٠). وللمزيد عن هذه المادة راجع: (دماج: ٢٠١٢م: ٧٠-٩٠).

٢٩- نشير هنا إلى حادثة طريفة، مضمونها أن موظفاً رومانياً يُدعى (ثيوفانس)، عاش في القرن الرابع الميلادي، ذكر في مذكراته إدراجه -في أثناء تجواله في مصر- المرّ في قائمة أمتعته، قائلاً في مذكراته: «المر كمحلول للعناية بالبشرة بعد الاغتسال» (قروم، ٢٠٠٨م: ٢٤). وعن استخدامات هذه المادة انظر: (دماج: ٢٠١٢م: ٩٠-٩٥).

٣٠- المقصود أن القبائل والممالك لم تأخذ في الحسبان تغيّر موازين القوى، والتطوّر الجديد في اكتشاف الرياح الموسمية، وأثره الكبير في إبحار السفن؛ فقد كان عليهم التعامل بما يخدم مصالحهم بشكل دائم، وليس مؤقتاً. ولعلّ من المفيد التذكير بأن مكتشف الرياح الموسمية هو الملاح والتاجر اليوناني هيبالوس Hippalus في القرن الأول قبل الميلاد، وهذا الاكتشاف مكّن السفن من الإبحار إلى الهند من دون الحاجة إلى محاذاة الشاطئ (حوراني، ١٩٥٨م: ٦٦، ٦٧).

والإستراتيجي في شبه الجزيرة العربية المطلّ أيضاً على البحرين: البحر الأحمر، وبحر العرب، كما أنها ليست بعيدة من الخليج العربي من خلال عُمان، وأحياناً استغلالهم الأوضاع الأمنية والسياسية المضطربة في مناطقهم، فزادوا ضرائب البضائع زيادةً مؤثرةً؛ فعلى سبيل المثال: لم يكتفِ ملك قتبان بجبي ضريبة على كلّ الطيوب المارة بمناطق نفوذه، بل فرض على التجار إعطاء حصص معينة من الطيوب عدداً من فئات الدولة؛ مثل: رجال الدين، وأمناء الملك، وحرسه، وحاشيته، وخدمه، وحراس البوابات (الهذال، ٢٠٠٢م: ٧٨). ويعود هذا التوجه، الذي يميّز ابن البلد من غيره، ويعطيه الأولوية في خيرات بلاده، إلى عدة قرون؛ فعلى سبيل المثال: القانون القتباني، المعروف عند الدارسين باسم قانون تمنع التجاري، صدر عن الملك (شهر هلال)، الذي يعود إلى نحو منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، وهو قانون يتكوّن من ٢٤ مادة (Res 4337, A, B, C)، سنورد منها هنا المواد التي لها علاقة بالتجارة مع الأجانب (للمزيد انظر: النعيم، ٢٠٠٠م: ١٨٢-١٨٥)، وهي:

٣- أيّ تاجر غريب يأتي إلى تمنع، وينوي التجارة فيها، يجب أن يكون له متجر.

٤- يمكنه الدخول كشريك مع صاحب متجر.

٥- يحقّ للقتبانيين فقط المتاجرة مع القبائل الأخرى المجاورة.

٦- عدم السماح لغير المواطنين بالتجارة في أراضي قتبان، ما عدا تمنع، إلا حسب الشروط السابقة.

٧- فرض غرامة مالية على أيّ تاجر دخل أراضي قتبان، وهو محمّل بالسلع، وينوي المتاجرة بها دون حصول على إذن رسمي.

١١- فرض ضريبة على جميع التجار، سواء كانوا من تمنع أو من خارجها.

١٧-هناك نوعان من الضرائب: ضريبة تمنع، ويدفعها تجار تمنع فقط، وضريبة ريدان، ويدفعها التجار الآخرون الذين من خارج المدينة.

٢٠- لا يحقّ لطرفين ممارسة التجارة في تمنع إلا إذا كان أحدهم من قتبان.

وقد أدّت هذه التصرفات إلى تضاعف أسعار السلع الآتية من الشرق؛ بسبب

العشور والضرائب وتجارة المرور التي فرضتها الممالك العربية الجنوبية، وهو ما حدا بتجّار روما المتعاملين بتجارة السلع الآتية من اليمن، المثقلين بالضرائب، إلى مطالبة روما والإمبراطور شخصياً بغزو اليمن، ومنهم -كما يُعتقد- بعض تجّار الإسكندرية (التي كانت بورصة العالم آنذاك)، فاستَعْدوا الوالي الروماني على جنوب شبه الجزيرة العربية.

الخامس: العمل على ردّ هجمات العرب وتدفّقهم على مصر وبلاد النوبة والحبشة؛ فقد ذكر استرابون وبليني أن العرب تكاثروا في مصر، وتحديداً في الجهة الغربية من البحر الأحمر، حتى إنهم شغلوا ما بين البحر الأحمر ونهر النيل في أعالي الصعيد، بل إنهما يذكران أن هذا التزايد بلغ إلى حدّ ضرورة التدخّل؛ فقد بلغ العرب نصف سكان مصر، وقد عملوا على الجمال؛ ينقلون التجارة والناس بين البحر الأحمر والنيل (شتلة، ١٤٠٤هـ: ١٠٣؛ الهذال، ٢٠٠٢م: ٨٠، هامش ١٥٨).

لكننا، مع الإقرار بالأهداف والأسباب المذكورة آنفاً، نرى أن السبب الرئيس، الذي غاب عن الباحثين والدارسين، هو دور الأنباط ومصلحتهم المباشرة وغير المباشرة من هذه الحملة؛ فقد اختلف الباحثون حول سبب هذا الدعم النبطي اللوجستي[٣١]؛ فكثير منهم يرى أن الأهداف الشخصية للوزير النبطي سلي كانت المحرّك الأساسي لذلك؛ سعياً منه إلى كسب ثقة أقوى القوى السياسية آنذاك (روما)؛ إذ لم يستبعد هؤلاء أن طموح سلي كان هو تقلّد الحكم بعد وفاة سيده عبادة إذا أخذنا في الحسبان أن الملك النبطي يحتاج إلى مباركة الإمبراطور

٣١- يرى بعض الباحثين أن الأنباط أُرغموا على المساعدة، في محاولة منهم لتجنّب بطش الرومان في حال رفضهم المشاركة، ويعتقد بعضهم أن مساندتهم هذه كانت طمعاً في الحصول على مكافأة. للمزيد انظر: (الناصري، ١٩٧٩م: ٤٢؛ البديع، ١٩٩٥م: ٢١٢-٢١٣؛ رحماني، ١٩٩٧م: ١١؛ بهائي، ٢٠١٠م: ٥١). وهناك من يرى أن التنافس بين سلي وهيرود كان الدافع إلى إسراع الأنباط أو سلي إلى تقديم الدعم إلى روما؛ خشية أن يسبقهم اليهود، وينالون مكافأةً من الرومان بضم أراضيهم إلى أرض هيرود (عقاب، ٢٠١٤م: ١٦٥)، وهو ما حدث لاحقاً؛ إذ ضُمَّت دولة الأنباط في عهد تراجان عام ١٠٦م إلى تكوين الولاية العربية.

الروماني ليضمن الاستقرار السياسي، وأن الملك -في حالتنا هذه- قد طعن في السن، وأن هدفه -كما قال استرابون- هو إضعاف القبائل العربية؛ ليتسنّى له توحيدها لاحقاً.

وعلى الرغم من هذه الأسئلة، ومشروعية الحجج التي ذكروها، إلا أن ما يجعلنا نتوقّف قليلاً عند هذه الآراء هو أنها تُلغي إلى حدٍّ كبير القوى السياسية الداخلية غير سلي، وتعطيه مكانةً تصل إلى حدّ استفراده بالحكم، وهو أمر يصعب قبوله أو تبنّيه من دون دليل واضح؛ فمعلوماتنا عن هذا الوزير جاءت في معظمها مرتبطةً بالأحداث ذات العلاقة بروما؛ لذلك فإن المؤرخ الذي كتب عن سلي أغفل التطرّق إلى القادة السياسيين الآخرين الذين لهم علاقة مباشرة بالشؤون الداخلية، بينما كان التركيز فيما له علاقة باهتمامات روما (انظر آنفاً). فالأمر -كما نعتقد- لا يخرج عن أن عُبادة أعطى الضوء الأخضر بموافقته على مساندة هذه الحملة الرومانية ودعمها لوجستياً وعسكرياً، خصوصاً أن استرابون قد أشار إلى أن الأنباط هم من شجّع روما على القيام بهذه الحملة (Strabo, Geography, 16, 4.22-24)[٣٢]؛ فاستقبال الوالي النبطي، وهو القريب من الملك عبادة، نعدُّه دليلاً واضحاً على الدعم الملكي لهذه الحملة، وإلا -على الأقل- لوقف موقفاً سلبياً منها؛ لعلمه بأهداف سلي الخفية والواضحة لكلّ سياسي محنّك.

وإذا أخذنا بقول استرابون: إن الأنباط هم الذين شجّعوا روما على القيام بهذه الحملة، فما مطامع الأنباط التي يسعون إلى تحقيقها لدولتهم ولأنفسهم؟. وللإجابة عن هذا السؤال علينا في البداية أن نأخذ في الحسبان الظروف السياسية آنذاك في الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية؛ فقد كان اليمن يلفظ النَّفَس الأخير من مرحلة سياسية عُرفت عند المؤرخين باسم: عصر ملوك سبأ، الذي انتهى في عام ١٥ ق. م؛ أي: بعد عشر سنوات من الحملة الرومانية. وتذكر المصادر

٣٢- الجدير بالذكر أن (عباس، ١٩٨٧م: ٥٣) يرى أن لفظ (الأنباط) في عبارة استرابون يُقصد به سلي، وهو أمر غير مقبول لدينا؛ فلو كان المقصود به الوزير لحدّده استرابون بالاسم.

الكتابية أن ثورةً قامت في مدينة مأرب استمرت خمسة أشهر، بل إن المدة الواقعة بين عامي ١٦٠ و١١٠ق. م غير واضحة المعالم والأحداث، فيما عدا أمرين:

أوّلهما: أن اليمن كانت خلال هذه المدة تمرّ بمرحلة يمكننا أن نطلق عليها: (مرحلة الضعف والوهن)[٣٣]. فالحملة توافقت مع بداية عصر ملوك سبأ وذي ريدان؛ أي: زمن انتقال الثقل السياسي من الأودية الشرقية حيث تقع مدينة مأرب وغيرها من مدن الممالك العربية الجنوبية إلى الهضبة الغربية حيث القيعان والحصون المنيعة والمدن التجارية المرتبطة مباشرةً بالبحرين الأحمر والعربي، وهو الدور الذي استمرّ إلى أفول حضارات جنوب شبه الجزيرة العربية، إضافةً إلى ازدهار أذوائية بني ريدان الحميريين في ظفار، في ظلّ وجود متغيّرات أخرى ارتبطت مباشرةً بتحوّل الطريق التجاري البري المارّ بأراضي سبأ، وربما سقوط الأسرة التقليدية في مأرب، وهو ما كان له أثر سلبي في إضعاف سبأ.

وقد أبانت نقوش تلك المدة حجم الصراع الداخلي على اللقب المزدوج (ملك سبأ وذو ريدان)، ومحاولة بعض الملوك توحيد البلاد، أو على الأقل: التخفيف من وطأة التفكّك السياسي، ومنها محاولة الملك (ذمار علي وتر يهنعم)[٣٤] توحيد الأقوام وتنظيمهم، وجعلهم يدينون بالولاء للإله والحامي، كما جدّد العهد والميثاق والاتحاد بين مختلف الشعوب السبئية والحميرية (Audouin- al Lawadh 1; Mafray- Mušğī'18) (للمزيد من المعلومات انظر: الناشري، ٢٠٠٧م: ٤٥-٤٨). وهي بالمناسبة الأوضاع السياسية ذاتها التي نلمحها في عهد خليفته الملك (ذمار علي بين)[٣٥] -ملك سبأ- الذي يبدو أنه دخل منذ زمن غير معلوم في حرب ضد حمير حسب ما يُفهم من محتوى النقش (Gl 1321/3). ونتائج هذه الحرب أجبرته على اتّخاذ اللقب الملكي البسيط (ملك سبأ)، من دون إضافة (ذو ريدان)؛

٣٣- أشارت (عقاب، ١٩٨٩م: ١٧١) إلى أن الأوضاع الداخلية المضطربة كان لها تأثير في قرار أغسطس غزو اليمن.

٣٤- يرجّح بعضهم أن حُكمه كان في بداية القرن الأول الميلادي، وقيل: قبل ذلك.

٣٥- يُقدَّر أن حُكمه كان في بداية القرن الأول الميلادي.

اعترافاً وإقراراً منه بانحصار نفوذ سبأ في مأرب. إضافةً إلى أن هناك عدداً من النقوش السبئية التي تروي استمرار هذا الصراع الداخلي، منها دخول سبأ في مواجهة مع أطراف سياسية، مثل النقش (Ja 643)، العائد إلى الملك (كرب إل بين) ملك سبأ؛ فقد أوضح دخول سبأ في حرب مع حضرموت، بل إننا نجد من مستوى الضعف في الدولة، وتحديداً في عهد خليفته الملك (يهاقم بن ذمار علي ذريح)[٣٦]، أن تمكّنت قبيلة شداد الحميرية من احتلال مدينة مأرب وقصورها الملكية (Ja 644)، إضافةً إلى الثورات الكثيرة التي واجهته في المرتفعات الغربية.

ولعلي أُنهي الحديث عن التفكّك السياسي، والصراع بين ممالك اليمن، والقلاقل السياسية، بالنقش القتباني (الحاج: تحت النشر)، العائد إلى المدة من نهاية القرن الثاني إلى بداية القرن الأول قبل الميلاد؛ فقد دلّ على صراعات داخلية في مملكة حضرموت خلال حكم (يدع أب غيلان) ملك حضرموت، الذي نُعِت في هذا النقش بلقب (ملك)، وهو ما دفع الملك القتباني (شهر هلال)، وابنه (هوف عم يهنعم)[٣٧]، إلى إرسال حاكم والي مدينة مريمة القتبانية إلى التدخل، ومدّ يد العون لمصلحة (يدع أب غيلان) -الملك الحضرمي- ضد قبيلة يهبئر[٣٨] ومناصريها من قبائل حضرموت. وهذا الأمر دليل على التفكّك والصراعات الداخلية، التي أثّرت بدورها في الجانبين: الاقتصادي، وهو ما كان يهمّ كثيراً مملكة الأنباط، والسياسي الذي يهم أيضاً الجانبين: الروماني، والنبطي؛

٣٦- هذا الأمر يعني أن الملك يهاقم وصل إلى عرش سبأ في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي في ظروف سياسية مضطربة حدثت منذ وقت مبكر، ولا شكّ أن هذه التحديات لم تكن إلا نتيجة تفكّك سياسي داهم سبأ قبيل الحملة الرومانية، وهو تفكّك استمر إلى نهاية القرن الثالث للميلاد.

٣٧- لعلنا نشير هنا إلى أننا نميل إلى أن القلاقل الداخلية في حضرموت، وضعفها السياسي، قد دفعا قتبان إلى التدخّل، وفرض أحد رجالها، وهو (يدع أب غيلان)؛ ليتولّى الحكم فيها معاصراً للملكين القتبانيين: (أب يدع ذيبان)، وابنه (شهرهلال). وهذا التدخّل لم يَلْقَ القبول من أقوى القبائل الحضرمية آنذاك، فأعلنت العصيان والثورة ضده، وقد أيّد ثورة هذه القبيلة الكبيرة عدد من القبائل والعشائر الحضرمية. ونحن لا نرجّح أن سبب تدخّل قتبان يعود إلى مصالح اقتصادية، يمثّلها الطريق التجاري الذي يمرّ بمجمل المدن القتبانية.

٣٨- يهبئر: قبيلة حضرمية ذات شأن، برزت على المسرح السياسي لحضرموت منذ نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، واستمرّ دورها إلى القرن الثالث الميلادي.

فالاستقرار السياسي يؤدي إلى ازدهار اقتصادي يصبّ في مصلحة الجميع داخل جنوب الجزيرة العربية وخارجها.

ثانيهما: أن بعض الباحثين يرى -من دون الجزم بذلك- أن (الشرح يخصب) هو ملك سبأ إبّان الحملة الرومانية.

وإن كان الوضع كذلك فهو أمر مُقلق للأنباط اقتصادياً وأمنياً؛ فهذه الاضطرابات وعدم الاستقرار السياسي يؤثّران بشكل مباشر في الاقتصاد النبطي، وهو العمود الفقري لأيّ دولة؛ لذلك رأت القيادة النبطية -وليس كما يُشاع الوزير سلي- إخضاع اليمن لأقوى النظم السياسية آنذاك، وهي الإمبراطورية الرومانية. فالأنباط يعلمون أن قدرتهم العسكرية لا تكفي لإخضاع الممالك اليمنية، ولا تأثيرهم الإقليمي يسمح لهم بالهيمنة على الأوضاع الداخلية لليمن، بل إن القبائل اليمنية لن تقبل بتدخّل الأنباط في شؤونها الداخلية، فضلاً عن التبعية لهم. لهذا -كما نرى- لم يكن أمام الأنباط إلا دفع روما وتشجيعها على غزو سبأ؛ لأن الوجود الروماني كان سيضمن -على الأقلّ- عودة الحياة مرةً أخرى إلى الطرق التجارية، وإلى مسارها السابق.

وكان الأنباط يرغبون في تجارتهم مع اليمن، وحماية مصالحهم هناك؛ إذ منها تستمد الطاقة الاقتصادية المحرّكة لهم، كما رغبوا -في الوقت نفسه- في الحفاظ على تجارتهم في الشمال، وهذا الأمر يعني نقل سيطرتهم من عنق الزجاجة (شمال غرب الجزيرة وجوف سوريا) إلى القواعد الأساسية للتجارة (اليمن)؛ لإمساك العنق نفسه، والسيطرة على المنطقة التجارية، لا بالقضاء على القوى المنافسة في اليمن، بل باستقرارها. إنها فكرة شديدة الوضوح في فهم سياق التاريخ النبطي ومصالحه الاقتصادية، وأن سياسات القوى المختلفة، الراغبة في حفظ قوتها في سورية، كانت تتّجه دوماً إلى اليمن، أو إلى الاهتمام بطريق الحرير.

قد يسأل أحدهم: هل كان الأنباط على هذه الدرجة من الأهمية والقوة حتى يستدعوا روما؟!

وتجيب عن هذا السؤال الأحداث التي حدثت بين الطرفين بعد وصول بومبي إلى المنطقة في أواخر الربع الأول من القرن الأول قبل الميلاد؛ إذ أصبحت للأنباط علاقة إقليمية جيدة بعد أن تبيّنت لروما مقدرتهم على تحقيق بعض إستراتيجياتها في المنطقة؛ لذلك لا نستبعد أن روما قد استجابت للطلب النبطي من هذا المنطلق، خصوصاً أنه لن يكلّف روما تكاليف باهظة؛ فلم يكن في تفكير روما احتلال المنطقة، بل فرض الهيمنة عليها بطريق غير مباشر.

وفي سياق هذه التنافسات العالمية وجد الأنباط أن خير مسرح يمكن فيه إظهار مدى الولاء للقوة الغربية (روما) ضد القوة الأخرى الشرقية (الفرس البارثيين)[٣٩]، وكذلك رأت القوى الغربية (روما) أن خير مسرح للصراع بين هذه القوى على الهلال الخصيب، هو السيطرة على بحر العرب (المحيط الهندي)، والبحر الأحمر[٤٠].

وقد يقول قائل العكس: أي أن دعوة الأنباط كانت لإضعاف اليمن، ومحاولة منهم لاستمرار تفكّكه؛ لأن استمرار ضعفه وتفكّكه قوة للأنباط، وخدمة لمصالحهم في المنطقة، خصوصاً أن اليمن خلال هذه المدة كان يشهد بوادر نهوض دولة حمير، لكن هذا القول في تصوّرنا مردود؛ لأن كثرة الدويلات، وعدم سيطرة دولة أو قبيلة على الأوضاع السياسية في اليمن، هما اللذان أدّيا إلى مضاعفة الضرائب وغيرها. وهكذا كان من المصلحة القومية للأنباط استقرار اليمن، لا تفكّكه.

٣٩- فضّل الأنباط التحالف مع الرومان، عوضاً عن التحالف مع فارس؛ لأنهم لم ينسوا ما قامت به فارس بزعامة قورش عندما أعادت زرع الدولة اليهودية مرةً أخرى.

٤٠- قد يكون دافع روما في الاستجابة لطلب التدخّل أنه السبيل الوحيد للحدّ من سيطرة الخليج أو فارس على تجارة الهند والبحر العربي؛ إذ كان يجب إعادة أهمية تجارة البحر الأحمر أمام تجارة الخليج العربي، أو إحياء البحر الأحمر، الذي يبلغ طوله ٢٠٠٠كم، ويراوح عرضه بين ٤٠٠كم في نصفه الجنوبي و٢٠٠كم في نصفه الشمالي (سيد، ١٩٩٣م: ٢).

الإعداد للحملة

أمر آيليوس جاللوس -بعد تلقّيه توجيهات الإمبراطور أغسطس، التي كانت في عام ٢٧ ق. م- ببناء ٨٠ سفينة ذوات طابقين وثلاثة طوابق وأربعة بمجدافين، لكن تبيّن لاحقاً لدى جاللوس أن هذا النوع الضخم من السفن لا يصلح إلا في الحروب البحرية[٤١]؛ لذلك أعاد النظر، فأمر ببناء ١٣٠ سفينة من السفن العادية الناقلة للجنود، وعددهم عشرة آلاف استُدعوا من روما ذاتها ومن الجنود الرومان المرابطين في جنوب مصر. وقد أبحرت من ميناء أرسينوي/ كليوباتريس Cleopatris شمال شرق خليج السويس، متّجهةً إلى الميناء الذي أنشأه البطالمة سابقاً (القرية البيضاء/ لوكي كومي)[٤٢] على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، ووصلته في أربعة عشر يوماً[٤٣]. ولا نعرف السبب الذي حدا باسترابون إلى القول: إن الجيش الروماني «خسر في الأرواح والمعدات» (Strabo, Geography, 16, 4.23) خلال رحلته هذه، لكن بعضهم أعاد هذه الخسائر إلى عدم معرفة الرومان طبيعة البحر الأحمر، وشعابه المرجانية، وجزره الصخرية في شماله، إضافةً إلى ضحالة مياهه عند الشواطئ التي لا تصلح لرسو السفن الضخمة، وهو ما لا يتوافق في الواقع مع الخبرة الغربية بالبحر الأحمر[٤٤]؛ فمعرفة الغرب وتعامله مع

٤١- كان استرابون قد انتقد بناء هذا النوع من السفن الحربية الضخمة؛ لأن العرب لم يكونوا محاربين أقوياء، سواء في المعارك البحرية أم البرية، بل كانوا تجاراً وبائعين جائلين (إبراهيم، ١٩٩٢م: ٥١٢). وقد عدّ بعضهم هذا القول منافياً لما نعرفه عن القدرة العسكرية السبئية (عن هذه القوة العسكرية انظر: العتيبي، ٢٠٠٦م). وفات هؤلاء أنه يشير إلى المدة المعاصرة له، وليس إلى الماضي؛ فعلى سبيل المثال: مع ما كان عليه العرب من قوة قبل سقوط الخلافة العثمانية إلا أنهم اليوم بعيدون من التكنولوجيا العسكرية المعاصرة.

٤٢- آلت سيطرته لاحقاً إلى الأنباط. اختُلف في موقعه؛ فقد عدَّه بعضهم أنه ميناء الحوراء (أملج)، أو أنه (الوجه)، وهناك من ابتعد كثيراً، فعدّه (ينبع البحر)، أما الدراسات الحديثة فتشير إلى أنه (واحة العينونة)؛ لقربها النسبي من البتراء، وسعتها، إضافةً إلى أنقاض المباني، والانتشار الكثيف للفخار الروماني والنبطي فيها، ونقول: إنها قد تكون ميناء لوكي كومي. للمزيد انظر: (النعيم، ١٩٩٢م: ٢٥٣؛ الهذال، ٢٠٠٢م: ٨٤، هامش ١٩؛ Kirwan, 1979: 55-61).

٤٣- لا أعلم علام اعتمد (الناصري، ١٩٨١م: ٢٥؛ وشتلة، ١٩٨٤م: ١٠٥) في قولهما: إن الرحلة استغرقت خمسة عشر يوماً. أما العتيبي، فذكر في الصفحة ذاتها (٢٠١١م: ٤٠٩) أنها استغرقت ١٥ يوماً، ومرةً قال: ١٤ يوماً.

٤٤- لمعرفة المزيد عن جغرافية البحر الأحمر وتضاريسه انظر: (سيد، ١٩٩٣م: ٢- ١٣).

البحر الأحمر بشكل مباشر يعود إلى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد؛ لذلك فمن الطبيعي أن تكون معرفتهم بهذا البحر وطرقه جيدة، بل إن الغرب أنشأ من خلال البطالمة عدداً من الموانئ على ضفتيه: الشرقية، والغربية، مثل مينائي: موس هرموس، وبيرنيك. والأمر الآخر الذي يضعف مثل هذا القول هو أن السفن التي استخدمها جاللوس لم تكن من تلك السفن الحربية الضخمة، التي يعود اختراعها إلى اليونانيين في القرن الثالث الميلادي؛ فالرواية تشير إلى استخدامه السفن العادية (الناقلة للجنود). لذا فإن الأمر لا يعدو أن يكون مبالغةً من استرابون، أو أنه يحيل إلى ما عاناه الجيش من صعاب بعد وصوله إلى الميناء النبطي؛ إذ زوّدهم عبادة الثاني -ملك الأنباط- بألف جندي من الأنباط العرب، و٥٠٠ مقاتل من اليهود[٤٥]؛ للسيطرة على بلاد العرب الجنوبية، كما أن اختيار الوزير النبطي سلي ليكون مستشاراً ومرشداً للحملة من الملك النبطي نفسه كان باقتراح وموافقة من الرومان، وهذا الأمر يدلّ على أن الأنباط، ممثّلين في الملك نفسه، قدّموا كلّ المساعدات اللوجستية المطلوبة[٤٦]. وبعد وصولهم إلى الميناء النبطي عانى الجند عدداً من الأمراض، منها داء الأسقربوط، الذي عرّفه النعيمات (النعيمات، ٢٠٠٠م: ٩٥، هامش ٣٠) بأن من أعراضه تورّم اللثة، ونزيف الدم منها، ومرض Lameness، وهو مرض يؤدي إلى شلل في الفم، والعرج في الأرجل؛ بسبب المياه والأعشاب الفاسدة[٤٧]، وداء الجرب؛ لذلك اضطرّ جاللوس وجيشه إلى البقاء في لوكي كومي طوال فصلي الصيف والشتاء؛ كي يتماثلوا للشفاء[٤٨]. وفور أن انحسر

٤٥- نشير هنا إلى الخطأ الذي وقع فيه (شتلة، ١٩٨٤م: ١٠٥) بقوله: «أرسلهم -يقصد الجنود اليهود- الحاكم الروماني هيرود»، والصحيح أن هيرود ملك يهودي، وليس رومانياً.

٤٦- مرةً أخرى يقع (شتلة، ١٩٨٤م: ١٠٥) في خطأ استنتاجي اعتمد فيه على (The Cambridge: 251)، متهماً فيه عبادة -الملك النبطي- ووزيره سلي بأنهما لم يمدّا الجيش الروماني «بأية معلومات ومساعدات سوى الحبوب والبلح والزبد»، ويبدو أن ترجمة النصّ الإنجليزي أوقعت شتلة في هذا الخطأ.

٤٧- نشير هنا إلى أن الترجمة الحرفية هي: المياه المُحلاة.

٤٨- يشير سبرنجر إلى أن الجيش بقي إلى بداية الشتاء؛ لأنه يرى أن نصّ استرابون في هذه الجزئية غير واضح (سبرنجر، تحت النشر).

المرض عنهم قرّر جاللوس التحرك لتحقيق السيطرة على جنوب شبه الجزيرة العربية، ماراً خلال المناطق الآتية(٤٩):

١- أراضي الملك الحارث(٥٠):

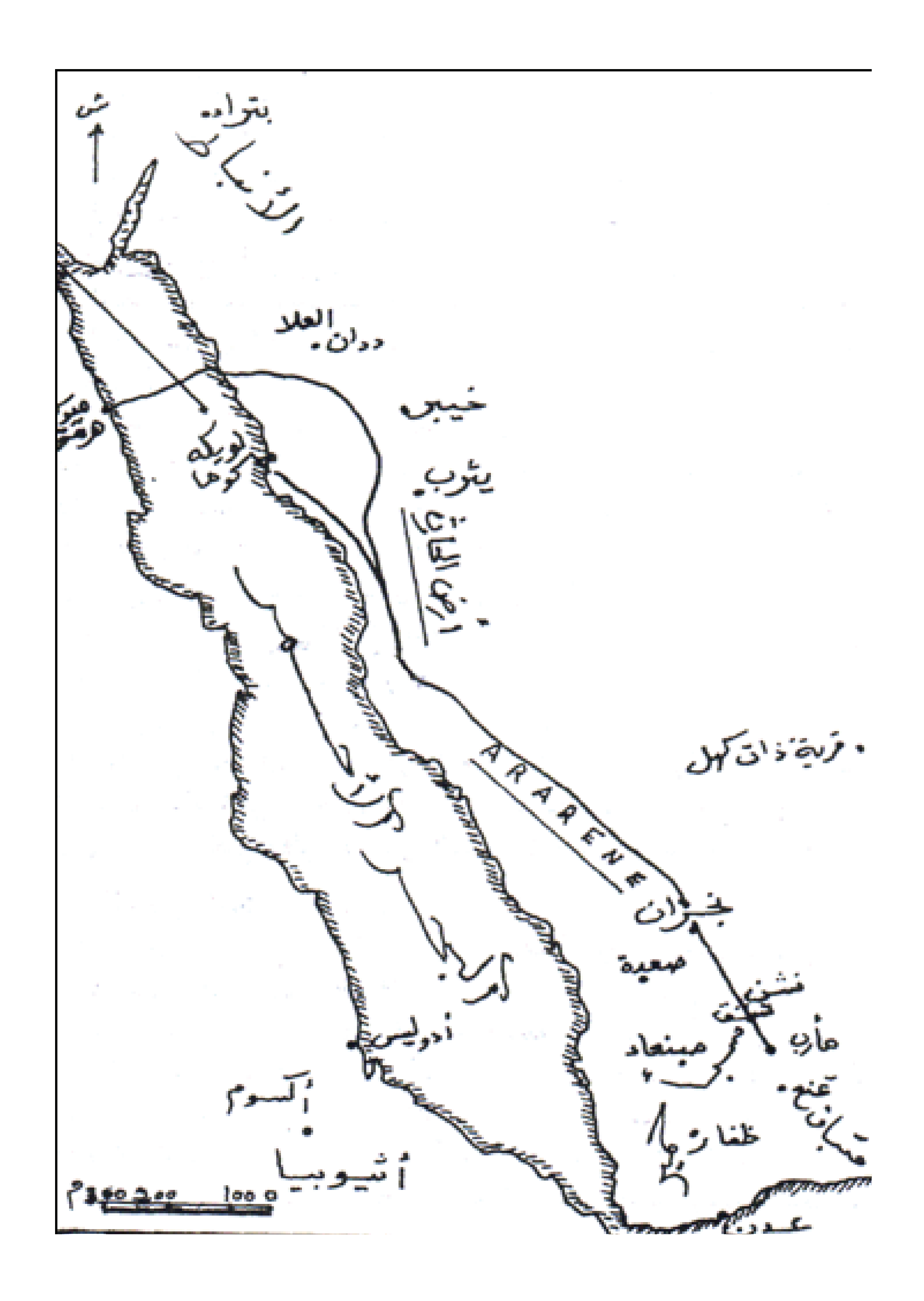
وهي منطقة وصلوها بعد عبورهم منطقة صحراوية قاحلة في مدة وصلت إلى ثلاثين يوماً، حملوا خلالها حاجتهم من المؤنة، وتحديداً المياه على ظهور الجمال. وكان استقبال الحارث، وهو أحد أقرباء الملك عبادة مَهيباً؛ إذ لم يكتفِ بحفاوة الاستقبال، بل قدّم إليهم الهدايا (Strabo, Geography, 16: 361). وقد وصفها استرابون بأنها أرض لا تنتج إلا الذرة Zeia، وينمو فيها قليل من نخيل البلح، والزبدة الحيوانية. ولعلّ هذه الأراضي تقع في الجنوب الشرقي للمملكة النبطية، وإن صدق تقرير استرابون فإن هذه المدة قضوها في عبور المسافة بين ميناء لوكي كومي وهذه المنطقة الواقعة في جنوب شرق المملكة(٥١)، التي قد تكون أيضاً هي مدائن صالح. ولعل استرابون اضطرّ إلى تسمية هذه الأراضي باسم أراضي الحارث، إما لعدم معرفة من نقل المعلومة إليه بالاسم الحقيقي، وإما لأنه نسي الاسم كليةً(٥٢).

٤٩- نحن لن نناقش الآراء المتعددة لسير الحملة؛ فهناك مَن يرى أنها في طريقها إلى اليمن عبرت نجداً وبواديها، وآخرون يرون أنها انتقلت إلى اليمن عبر نجران، مروراً بوادي الدواسر؛ لأنني أجده أمراً مستغرباً أن تُبنى افتراضيات على أسماء لمواقع قليلة جداً، وكذلك مُختلف في نطقها. ونتّفق مع الغزي فيما يخصّ تحديد المسيرة؛ اعتماداً على اليوم، في قوله: إن مقدار المسافة الزمني هنا قد يعتمد على ما يتمّ قطعه أو الفترة التي استغرقتها المسيرة، وليس على المسافة الجغرافية، إذ إن وعورة الطريق قد تضاعف الفترة الزمنية التي تقطعها الحملة؛ فالتعبير باليوم لا يعني تقدير المسافة الزمني اصطلاحاً، بل يشير إلى وصف لأحداث مسيرة الحملة.

٥٠- يرى بعضهم أن الحارث، وهو أحد أفراد العائلة المالكة النبطية، كان آنذاك والياً يشرف على الأراضي النبطية الواقعة جنوب الحِجْر (Healey, 1993: 26؛ البديع، ١٩٩٥م: ٢١٤؛ العتيبي،٢٠١١م: ٤١٠).

٥١- تعدّدت الآراء المتعلقة بتحديد هذه المنطقة؛ فمن قائلٍ: إنها الحجر، أو يثرب، أو مكة المكرمة، أو منطقة بين يثرب والقصيم. للمزيد انظر: (الهذال، ٢٠٠٢م: ٨٨-٨٩).

٥٢- ولعلنا نشير هنا إلى أننا لا نتّفق مع تفسير (العتيبي، ٢٠١١م: ٤١٠) أن السبب يعود إلى «أنهم لم يعرفوا اسم هذه المناطق التي يتولّى الإشراف عليها»؛ فهو أمر يصعب قبوله؛ لأنهم قد التقوا به، وساروا في منطقته مدة شهر كامل، وهي مدة كافية لكي يعرفوا اسمها.



مسار الحملة (نقلاً عن: الجرو، ٢٠٠٢م: ١٨٣)

٢- عرنين / أراراني Ararene:

وهي أراضي ملك يُدعى: سابوس Sabos[٥٣]، قال عنها استرابون: إنها وعرة، لا طرق فيها، استغرقت مدة اجتيازها خمسين يوماً (Strabo, Geography, 16: 4.24). ومن هذا الوصف يُرجَّح أنها منطقة تشمل المنطقة الواقعة بين القصيم ونجران (Forster, 1984: 303)؛ فهي المنطقة الصحراوية الوعرة التي لا تُوجد بها طرق، مثل تلك التي اعتاد عليها الجيش الروماني؛ لذلك فإن تحديد سبرنجر الطريق الذي سلكه جاللوس في طريقه إلى نجران -معتمداً على رواية استرابون (Strabo, Geography, 16: 24)- بأنه اتّخذ طريقاً أوصله إلى داخل نجد، وتحديداً مدينة عنيزة، ثم اتّجه شرقاً إلى عاصمة اليمامة آنذاك (الحجر)، ومنها سار مسافة عشرين مسيرة مرحلة جنوب غرب إلى أن وصل إلى مدينة نجران- مقبول إلى حدٍّ كبير، لكن ما يضعفه عدم إشارة استرابون إلى المستوى الحضاري الجيّد الذي تمتّعت به المنطقة خلال تلك المدة (للمزيد عن الجوانب الحضارية لهذه المنطقة انظر: الغزي، ١٩٩٦م: ٥١-٧٧؛ الذييب، ٢٠٠٧م: ٢٣- ٣٢، ٨١- ١٧٦).

وهكذا يكون الجيش قد قطع خلال هذه الأراضي ١٤٠٠كم من الشمال إلى الجنوب، وتحديداً مدينة نجران، في مدة بلغت ستة أشهر، منها ثمانون يوماً في الصحارى الكبيرة (بلاد الملكين: الحارث، وسابوس)؛ فقد استغرق عبور الأولى ثلاثين يوماً، والثانية خمسين يوماً (Strabo, Geography, 16: 4.24).

٣- نجران:

تُعدُّ من أشهر المدن في شبه الجزيرة العربية؛ إذ لم يكن فقط مناخها المعتدل، وتربتها الخصبة، ومياهها الوفيرة، وراء مكانتها الطيبة، بل إن موقعها الإستراتيجي المتميّز قد أهّلها كي تكون من أهم مدن القوافل في المنطقة الواقعة على الطريق التجاري المعروف عند المؤرخين باسم: (طريق البخور)، ويتفرع منها طريقان رئيسان:

٥٣- يلفظ (إبراهيم، ١٩٩٢م: ٥٢٠) هذا العَلَم بصيغة (صعب)، وهو اللفظ الأرجح.

أحدهما يتّجه إلى اليمامة، والآخر إلى الشمال مروراً بالعلا ويثرب إلى البتراء.

وقد تنبّه السبئيون إلى أهمية هذه المدينة منذ القرن الثامن قبل الميلاد، وعندها بدأ الصراع بينهما؛ لذلك أشارت النقوش السبئية، التي لم تخلُ من المبالغة الواضحة، إلى عدد من هذه المعارك، منها ما ورد عن الملك السبئي (كرب إل) من أن المعركة بينهما قد خلّفت خمسة وأربعين ألف قتيل، وثلاثة وستين ألف أسير، مع الاستيلاء على واحد وثلاثين ألف رأس من الماشية، وإحراق مدن نجران وقراها بالكامل (Res3945). وسوّغ الملك (كرب إل) قتله -كما قال في نقشه- خمسة آلاف نسمة من قبيلة (مهأمر) النجرانية، وأخذه اثني عشر ألف طفل رهينةً منهم مقابل الولاء، مع فرضه جزيةً سنويةً يؤدونها للإله السبئي (ا ل م ق هـ) (المقه)، بأنها قد «صارحته العداء». وأخيراً، نكتفي بالنقش السبئي (Ja577)، العائد إلى نحو النصف الأول من القرن الثالث الميلادي، الذي أكّد أن الملك السبئي (إل شرح يحضب الثاني) قاد حملةً بقيادة (نوف حمدان وذوغيمان) لإخضاع التمرّد الذي قامت به مدينة نجران ضده، قال القائد: إنه «قتل ٩٢٤ شخصاً، وأسر ٦٦٢، واستباح ٦٨ مدينةً، وأحرق ستّين ألف حقل، ودفن ٩٧ بئراً»، ولم يكتفِ بذلك، بل أخذ ألف طفل رهينة مقابل ولائهم وتعهّدهم بألا يخرجوا على ملوك سبأ.

واشتهرت المدينة، المعروف عنها اضطراب ولائها للسبئيين، وكثرة تمرّدها على سبأ، باعتناق أهلها الدين المسيحي، وهذا التصرّف ربما جاء من باب مخالفة السبئيين، وعناداً لهم؛ إذ ينتشر فيهم الدين اليهودي، فقرّر أهالي نجران اعتناق الدين المضاد، وهو المسيحية في القرن الرابع الميلادي. ومرةً أخرى جاءت ردة فعل السبئيين أيضاً عنيفةً؛ إذ أشار اليهودي يوسف أسأر إلى أنه شنّ حملةً عسكريةً بمعاونة أعراب من مملكة كندة ومذحج وأقيال همدان خلّفت أحد عشر ألف قتيل من المسيحيين في نجران (Ja1028، وللمزيد عن شهداء نجران انظر: الصلوي، ١٩٨٠م).

ولنعُدْ إلى الحملة الرومانية؛ فقد بيّن استرابون (Strabo, Geography, 16: 361) أن استيلاء الجيش الروماني على المدينة (Nagrani) لم يكلّف القوات إلا

اليسير، ويبدو أن ما ساعد على سهولة استيلائهم على المدينة هو فرار ملكها من المواجهة لأسباب غير مفهومة، أغلبها تخوّفه من قوة الجيش الروماني، وخوفه من السقوط في الأسر. وهذا النهج أمر طبيعي؛ فهروب القادة والملوك في أغلبه يهدف إلى إعادة رصّ الصفوف والمواجهة في ظروف أفضل وأحسن لهم[٥٤]. ومع أننا لا نعرف على وجه التحديد ما حصل للملك، أو لنجران بعد مغادرة جاللوس، وعودته إلى مصر، لكننا لا نستبعد أنه قد عاد إلى مقرّ حكمه مرةً أخرى.

٤- داخل العمق اليمني:

بعد استيلاء جاللوس على نجران غادرها في طريقه إلى داخل العمق اليمني، وتحديداً إلى ماريبا، من خلال مروره على مدن وقرى داخل الأراضي المعينية. وبعد مسيرة ستة أيام -كما قال استرابون- وصل الجيش إلى نهر حدّده بعضهم بأنه غيل الخارد في الجوف اليمني (علي، ١٩٧٦م، مج: ٥٠؛ الجرو، ٢٠٠٢م: ١٨١؛ شبرنجر، تحت النشر، وللمزيد من المراجع والدراسات انظر: الهذال، ٢٠٠٢م: ٩٢، هامش ٨١). وعند هذا النهر (الوادي الكبير) اشتبك الجيش الروماني مع العرب Barbarians[٥٥]، وكانت حصيلة هذا الاشتباك رقماً كبيراً إلى حدٍّ كبير، وقد ردّ استرابون (Strabo, Geography, 16: 361) مقتل هذا العدد الكبير من جانب المحليين، وهو عشرة آلاف قتيل، إلى نوعية أسلحتهم، وأن خبرتهم لم تكن كافيةً لاستخدام أسلحة مناسبة، ما عدا الأقواس، والرماح، والسيوف، بما فيها تلك السيوف ذات الحدَّين، والمقالع. بينما -والحديث لاسترابون- كانت خسائر الحملة

٥٤- نبّه (النعيمات، ٢٠٠٠م: ٩٧، هامش ٣٨) إلى الخطأ في ترجمة تقرير استرابون، أو لنقل: محاولة بعض الباحثين تخيّل أمور لم تحدث، وذلك من باب تفسير ما حصل في نجران بقولهم: إن هروب الملك جاء بعد تدمير المدينة (الجرو، ٢٠٠٣م: ١٨١)، أو إن هناك مقاومةً فاعلةً (إبراهيم، ١٩٩٢م: ٥٢١؛ الهذال، ٢٠٠٢م: ٩١).

٥٥- لا يجب التحسّس من هذا اللفظ؛ فالكلمة Barbaroi تعني «أولئك الذين لا يتكلّمون بلغة مفهومة لهم»، كما تعني أيضاً (الأجانب) (إبراهيم، ١٩٩٢م: ٥٢١، هـ٤٥)، ويبدو أن المعنى تطوّر دلالياً لاحقاً ليحمل المعنى السيئ.

الرومانية قتيلين اثنين فقط[٥٦].

على كلّ حال، أخذ كثير من الدارسين هذا الأمر بحساسية كبيرة، ومع إقرارنا بضرورة أخذ الحيطة والحذر من هذين الرقمين إلا أن أحداثاً معاصرة تصبّ في مصلحة ما ذكره استرابون في تقريره، وأعطي على ذلك الأمثلة الآتية:

الأول: ما حدث في العراق خلال معركة القضاء على صدام حسين وجيشه، التي سُمِّيت لاحقاً (الغزو الأمريكي)؛ فالفارق كبير بين قتلى الجيشين، وإذا أضفنا المدنيين فإن العدد سيتخطّى المليون، وهذا العدد في مرحلة الحرب فقط، وانظر كذلك إلى أعداد القتلى من المدنيين العراقيين من العمليات الإرهابية التي تصل أحياناً إلى الخمسمئة قتيل شهرياً.

الثاني: الحرب الأمريكية على فيتنام، التي استمرت أعوام (١٩٦٧- ١٩٧٣م)، وكانت حصيلتها من الجانب الفيتنامي «مليون ومئة ألف قتيل»، بينما كانت خسائر الجيش الأمريكي ١٥٣,٣٠٣ قتلى.

المثال الثالث: وقد يجده بعضنا مؤلماً ومخزياً؛ لأنه يعكس حالةً من الضعف الشديد لدى العرب، وسيجده المؤرخون لاحقاً أمراً غير مقبول، هي اتفاقيات تبادل الأسرى، وهو على قسمين: الأول مع ما يُعرف الآن بمنظمات المقاومة (المنظمات الفلسطينية واللبنانية)؛ فقد جرت عدة عمليات تسليم بينهما بدأت في عام ١٩٦٨م، وآخرها في عام ٢٠١١م، وقد كان حجم التبادل هو تسليم اثني عشر أسيراً إسرائيلياً وثلاثة جثث لجنود إسرائيليين في مقابل إفراج العدو الإسرائيلي عن ٧٣٣٧ أسيراً عربياً، أغلبهم من أبناء فلسطين المحتلة، مع ٤٩ جثة لشهداء فلسطينيين[٥٧].

٥٦- لعل استرابون فاته -بسبب تحيّزه الواضح- أن يقول: إن هذين القتيلين من الأنباط الذين رافقوا الحملة، وليسا من الرومان.

٥٧- ذكرتُ فقط أبرز هذه الاتفاقيات، التي تمّت في الأعوام: ١٩٦٨، و١٩٨٣، و٢٠٠٤، و٢٠١١م، كما وردت في الموقع (http://www.skynewsarabia.com/web/article/645137). ومن المثير الإشارة إلى أن العدو الإسرائيلي اعتقل منذ عام ١٩٦٧م ثمانمئة ألف فلسطيني مدني، وهي إشارة واضحة إلى الأسلوب العدواني العنصري الذي تنتهجه إسرائيل.

والقسم الثاني هو اتفاقيات التبادل بين العدو الإسرائيلي والدول العربية؛ فقد جرت أيضاً عدة اتفاقيات تسليم أسرى بين الطرفين[٥٨]، أتوقف هنا عند عملية التبادل التي كانت في عام ١٩٦٧م؛ إذ بلغ عدد الأسرى الإسرائيليين ٢١ أسيراً، بينما كان عدد الأسرى العرب هو ٧٩٩٨ أسيراً.

ويبدو أن ما نما إلى ملك المدينة، التي سمّاها استرابون (أسقة/ أسكة Asca)، من انتصار، أو لنقل على الأقلّ: تقدّم الجيش الروماني الحثيث، قد دفعه إلى ترك المدينة والفرار، فدخلت القوات الرومانية من دون قتال. ويبدو أن استرابون قصد بـ(أسقة أو أسكة) مدينة (نشق) التي تُعرف في نقوش المسند أيضاً باسم (نشان)، وهي مدينة معينية دلّت الدراسات على أنها قد تعود إلى ما قبل القرن الثامن قبل الميلاد، استولى عليها السبئيون في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، وأمر الملك السبئي آنذاك ببناء سور يحيط بها. ثم اتّجه الجيش الروماني إلى مدينة (أثرولا/ أثلولا Athloula/ Athrala)، التي سقطت أيضاً من دون قتال[٥٩]، وهي أيضاً المدينة الثانية التي يُقرَّر وضع حامية فيها مع أنها سقطت من دون قتال، وكما فعل بعد اجتيازه مدينة أسكة تزوَّد بما يريد من المؤن من الحبوب والتمور (Strabo, Geography, 16: 361). واللافت أن جاللوس -كما ذكر استرابون- وضع في هاتين المدينتين اللتين فرّ ملكاهما، وسقطتا من دون قتال، حاميةً رومانيةً، وهذه إشارة -كما نعتقد- إلى تخوّفه وعدم ثقته بهما، بل تخوّفه من أن تهاجماه من الخلف؛ لذلك لم يجد جاللوس مفراً من ترك حاميتين رومانيتين فيهما.

وأخيراً، وصل جاللوس وجيشه إلى ما رأى بعضهم أنه هدف الحملة، وهو

٥٨- أبرز هذه الاتفاقيات هي ثلاث اتفاقيات: الأولى كانت في عام ١٩٤٨م؛ إذ بلغ عدد الأسرى الإسرائيليين ٨٩٠ أسيراً، وكان عدد الأسرى العرب ٦٣٤٧ أسيراً، والثانية تمّت في عام ١٩٥٦م؛ إذ تبادل الجانبان العربي والإسرائيلي ١٧ أسيراً إسرائيلياً، و٥٥١٥ أسيراً عربياً. وكانت الثالثة عام ١٩٦٧م (انظر أعلاه)، وجرت الرابعة عام ١٩٧٣م، وكانت حصيلتها تبادل ٩٠٩٧ أسيراً من الطرفين، منهم ٣١٤ أسيراً إسرائيلياً، والبقية من الأسرى العرب (http://ar.wikipedia.org/wiki).

٥٩- لعلنا نشير هنا إلى أن النعيمات في دراسته الجيدة (النعيمات، ٢٠٠٠م: ٨٩) أسقط عن طريق الخطأ -كما يبدو- ذكر هذه المدينة عند حديثه عن خطّ سير الحملة.

السيطرة على مدينة ماريبا/ ماريقا Mariaba، مع أن بعضهم خالف ذلك؛ فعلى سبيل المثال: أشار بليني (Pliny, Natural: 458) إلى أن مدينة Caripeta هي المدينة الأخيرة التي توقّف عندها الجيش. أما ديو كاسيوس، فعنده أن آخر مدينة هي Adula (نقلاً عن: علي، ١٩٨٠م، مج٢: ٥٣؛ الهذال، ٢٠٠٢م: ٩٦). وكما اختلف المؤرخون القدماء في تحديد المقصود بمدينة ماريبا فقد اختلف أيضاً المؤرخون المعاصرون؛ فعلى سبيل المثال: يرى بيستون أن الجيش لم يذهب إلى مأرب، لكنه زحف مباشرةً من أرثولا/ ياثول عبر طريق صعب في صحراء صهيد إلى موطن البخور في حضرموت حيث هُزم في موقع يُعرف حالياً باسم (العبر) على مسيرة يومين من شبوة (نقلاً عن: قروم، ٢٠٠٨م: ١١٢)، وأجد نفسي مضطراً إلى التوقف لمناقشة ما قاله شبرنجر؛ لأنه -بكلّ بساطة، وهو أمر غريب- قد رأى أن نصّ استرابون تعرّض للتشويه؛ لذلك فهو يرى أن الحملة تجاوزت مأرب إلى موقع آخر، وهو مدينة ردمان، لكننا نتّفق مع جلاسر (نقلاً عن: علي، ١٩٨٠م، مج٢: ٥٥) في أن ماربيا هي مدينة مأرب. كما نشير إلى أننا لا نتّفق مع شبرنجر في تحديده ممالك في المنطقة الواقعة بين أرض الحارث ونجران في ظلّ شحّ المعلومات؛ لذلك فافتراضاته في هذا الجانب لا يعتدُّ بها إلا بعد ظهور دلائل واضحة.

على كلّ حال، يبدو أن مدينة ماريبا/ ماريقا -كما قال استرابون (Strabo, Geography, 16: 361)- كانت تابعةً لقبيلة رحمناتا Rhammanitea، وملكها إيلازاروس Ilasarus[٦٠]، الذي يُعتقد أنه (ا ل ي ش ر ح)، أو (ا ل ش ر ح ي ح ض ب) (للمزيد انظر: الهذال، ٢٠٠٢م: ٩٥، هامش ١٠٧)، إلا أن حظّ آيليوس جاللوس مع هذه المدينة لم يكن كما كان في المدن الأخرى؛ فقد واجه مقاومةً حالت دون استيلائه عليها، وبعد أن أُسر عدد من أفراد هذه القبيلة -يبدو أنهم من الحرس المتقدمين، أو عيون ملك المدينة نفسه، أو قد يكونون مدنيين لا علاقة لهم

٦٠- يرى بعض الباحثين -وهو قول لم يلقَ القبول من الأغلبية- أنه يُنطق: الأعصر، أو الأعسر، أو العسيري؛ نسبةً إلى منطقة عسير في جنوب المملكة العربية السعودية (إبراهيم، ١٩٢٢م: ٥٢٢).

بالجيش السبئي- فَهِمَ بعد التحقيق معهم أن منابع المواد العطرية لا تبعد سوى مسيرة يومين من ماريبا.





سد مأرب

وذكر استرابون أن جاللوس اضطرّ بعد ستة أيام من حصارها إلى التقهقر والعودة إلى مصر؛ بسبب نقص المياه[٦١]. وقد وجد عدد من الباحثين أن تفسير استرابون غير منطقيّ وغير معقول؛ لخصوبة المنطقة، وكثرة أمطارها، خصوصاً أن سد مأرب المشهور لا يبعد سوى ثمانية كيلومترات من المدينة المحاصرة (إبراهيم، ١٩٩٢م: ٥٢٣؛ الأرياني، ١٩٨٤م: ٦٣؛ عقاب، ١٩٨٩م: ١٨١؛ الهذال، ٢٠٠٢م: ٩٧).



سد مأرب

ونحن نرى -إن أخذنا في الحسبان أن الوقت الذي وصل فيه جاللوس وجيشه إلى المنطقة كان صيفاً- أنه قضى أكثر من ثلاثة شهور إلى أن وصل إلى مأرب، وهو ما قد يشير إلى أنه قد وصلها في الصيف. هذا أولاً، والأمر الثاني: لماذا نستبعد

٦١- فسّر بعض الباحثين قول استرابون هذا باحتمال تدمير اليمنيين من باب المقاومة بعض الآبار، وتسميم بعضها الآخر (Sidebotham, 1986: 598؛ العتيبي، ٢٠١١م: ٤٢٩).

إمكانية أن المنطقة آنذاك كانت تمرّ بنقص في المياه؟! فلدينا نقوش تتحدث عن مرور المنطقة خلال تاريخها الطويل بقحط أثّر فيها؛ فقد دلّت الدراسات على أن جفافاً في المناخ حدث في اليمن في القرن السابع قبل الميلاد، وتحديداً في الأراضي المعينية، إضافةً إلى الجفاف الحاد الذي عرفته هذه المنطقة في العصر الكلاسيكي (غلاب، ١٩٨٤م: ١٩٣). لكننا لا نستبعد أن يكون ما دفع جاللوس إلى الإسراع بالعودة، والتخلّي عن الحصار، لا علاقة له بالمقاومة التي واجهها في مدينة مأرب، بل بما نما إليه عن نتائج هجمات الإثيوبيين على الحامية الرومانية في جنوب مصر؛ لذلك قرّر -خوفاً من ردّة فعل الإمبراطور أغسطس- التخلّي عن حصار المدينة، والعودة إلى مصر؛ إذ لم يكتفِ الإثيوبيون -بقيادة ملكتهم كنداكي Kandake- بالهجمات، بل أخذوا من ضمن غنائمهم التي نهبوها تماثيل الإمبراطور نفسه (Jameson, 1968: 74-6)، وكان يُعدُّ أخذ تماثيل المعبودات والزعماء آنذاك أمراً مهيناً وقاسياً؛ لذلك لم يجد جاللوس تفادياً لردّة الفعل التي سيواجهها من الإمبراطور أغسطس إلا العودة، متّخذاً طريقاً مختصراً مقارنةً بطريق القدوم. إن ما شجّع الإثيوبيين على مهاجمة الجيش الروماني في النوبة ما قام به جاللوس من سحب عدد من فِرَق ذلك الجيش للمشاركة في حملته في شبه الجزيرة العربية (علي، ١٩٧٢م: ٦٧). وهكذا، لا نرى أن استرابون كان محقاً في وضع اللائمة على نقص المياه؛ فقد أراد تغطية أخطاء جاللوس؛ لأنه سحب من القوات الرومانية المتمركزة في النوبة (جنوب مصر)، في محاولة منه لإنقاذ صديقه من العقاب الآتي من روما. وهكذا، لم يكن استرابون مدافعاً عن أخطاء جاللوس في حملته هذه فحسب، بل عن أخطائه في مصر نفسها؛ فما قاله استرابون من أن طريق العودة كان من اكتشاف جاللوس غير منطقي؛ إذ كيف لشخص غريب -فما بالك بجاللوس، الذي ذكر استرابون نفسه عنه أنه يجهل الطبيعة الجغرافية للمنطقة- أن يكتشف طرقها ودهاليزها من دون دعم أهلها ومشورتهم؟!. لذلك فالمنطقيّ أنه عاد أدراجه عبر طريق دلّه عليه الأهالي عندما أوضح لهم وضعه

المُحرج، وحاجته إلى العودة بأسرع وقت. وهكذا، أخذ الطريق الأقصر، الذي قاده خلال ستّين يوماً إلى اجرا[٦٢]؛ أي: أقلّ من زمن المجيء بثلاثين يوماً.

ومع أن أغلب دارسي هذه الحملة أخذوا بقول استرابون: إن الحملة أخذت في المجيء ستة أشهر، إلا أن الحسبة الصحيحة -أو على الأقلّ: الأقرب إلى الصحة- هي أقلّ من ستة أشهر؛ فالمتتبّع ما ذكره استرابون سيجد أن المدة التي استغرقها الجيش لم تزدْ على التسعين يوماً؛ فقد سار عدة أيام من ميناء لوكي كومي إلى أن وصل إلى أرض الحارث، التي قطعها خلال ثلاثين يوماً، وبعدها اجتاز أراضي البدو في خمسين يوماً إلى نجران، بينما قطع المسافة بين نجران والنهر في ستة أيام، وبعدها أخذ عدة أيام إلى أن وصل إلى آخر نقطة، وهي مدينة مأرب؛ فالمؤكَّد لنا هو ٨٦ يوماً فقط، أما بقية المسافة بين بقية المواقع التي لم يحدّدها استرابون فهي لا تزيد على العشرة، وهما مسافتان: الأولى بين لوكي كومي وأرض الحارث، والثانية المسافة بين النهر ومأرب، ونعتقد أنه أخذ في الأولى عشرة أيام، وفي الأخرى مثلها. وهكذا، فالمدة التي استغرقها الجيش الروماني لا تزيد -بأيّ حال- على الأربعة أشهر، بل هي على الأرجح: ثلاثة أشهر وستة عشر يوماً (مئة وستة أيام)، وهو لم يكن أيضاً طريقاً مختصراً بشكل واضح؛ فالأغلب أن طريق العودة يكون أسرع من طريق المجيء؛ فالجيش في أثناء مجيئه يزحف على مهل، ويتوقف عند كلّ موقع محاصراً أو مُحمَّلاً بالمؤن اللازمة أو زائراً، أما في طريق العودة فتختفي بشكل واضح هذه الأمور، ويكون وصوله أسهل بكثير. المهم أن جاللوس وصل إلى اجرا مع جنوده، ثم غادرها مبحراً إلى ميناء ميوس Myus، فوصله بعد أحد عشر يوماً[٦٣].

٦٢- يجب أن نشير هنا إلى الخطأ التاريخي الذي وقع فيه (كمال، ١٩٧٧م: ١٢١)؛ إذ أشار إلى أنه مع أن سكان الحجر أنباط إلا أنهم مستقلّون عن أنباط البتراء، وهو خطأ تاريخي جسيم يدلّ على عدم تخصّص عبدالحافظ كمال، وعدم تمكّنه من التاريخ العربي القديم.

٦٣- يشير استرابون إلى أن حصيلة القتلى من الجانب الروماني خلال الحملة هي سبعة جنود فقط، أما بقية قتلاهم فتعود إلى الأمراض، والجوع، والتعب، والطرق السيئة (Strabo, Geography, 16: 361).

الخاتمة والنتائج

كأيّ مجتمع متحضّر على مرّ العصور، يقوم مفكّروه بدراسة الأحداث، ليس فقط لمجرد الرصد، لكن لكشف الأخطاء إن وُجدت؛ سعياً إلى تجنّبها، وعدم الوقوع فيها، ومناقشة هذه الأخطاء بكلّ شفافية، وتقديم معلومة إلى المجتمع المحلي آنذاك. وهكذا، فإن حملة جاللوس هذه لم تختلف عن غيرها من الأحداث التي رصدها وناقشها الرومان آنذاك، ولعلّ أبرز مَن كتب عنها المؤرّخان: استرابون، وبليني، اللذان اعتمدا على التقارير الرسمية التي أعدّها الجيش نفسه للجهات ذات العلاقة، واللقاءات المباشرة مع الناجين من الجنود الذين عادوا إلى مصر، لكن ما ميّز روايات استرابون في تأريخه لحملة آيليوس جاللوس هو فقدانها المصداقية، مع أن المؤرخين يرون أن كتاباته تتميّز بالدقة والتناسق والصراحة (إبراهيم، ١٩٩٢م: ٥٠٣-٥٠٤)، لكن هذه المميزات (الصراحة، والدقة، والتناسق) فُقدت إلى حدٍّ كبير في الفصل الخاصّ بحملة جاللوس الرومانية، ويعود ذلك إلى أمرين:

١- أنه -كما نوّه سبرنجر (تحت النشر)- لم يبذل جهداً كافياً في إعداد تقريره؛ فهو لم يقدّم النطق الصحيح، أو أحياناً المرجح، لكثير من الأسماء؛ مثل: المدن، والمواقع؛ فلم يُلقِ بالاً لأهمية الأسماء بالشكل الصحيح[٦٤]. كما أنه لم يقدّم معلومات وافية عن المنطقة، خصوصاً الواقعة بين أرض الحارث ونجران، مع أن الجيش اجتازها في مدة لا تزيد على ثلاثة أشهر، كما أن المعلومات الجغرافية أو السياسية عن المنطقة وأهلها كانت نادرةً، بل أحياناً مفقودةً كليةً، وهو ما يؤكّد عدم مرافقته الحملة، التي لم يدّعِ أصلاً مرافقته لها؛ فالجملة التي توهّم بعضهم منها هذا الادعاء قوله: «هذه الحملة جَرَت في زماني» (كمال، ١٩٧٧م: ١٢١).

٦٤- تناول العلماء منذ فيلبي أسماء المدن والمواقع العربية، التي وردت عند الكُتّاب الكلاسيكيين خلال هذه الحملة، التي كُتبت باللغتين اللاتينية والإغريقية من خلال الرسم الصوتي لهذه الأسماء، وآخرون من خلال ترتيب مسيرة الحملة، مع أن الترتيب قد لا يكون حجةً؛ إذ قد تسير الحملة في اتّجاهات مختلفة. لذلك، فإننا لا نميل إلى الافتراضات التي افترضها عدد من الدارسين، سواء عن الممالك التي اقترحوها أم المناطق التي مرّ بها الجيش في ذهابه إلى نجران أو عودته من مأرب؛ لأنها تعتمد على قراءات لأعلام غير مؤكّدة.

وهكذا، فمن المؤكّد أنه لم يكن مرافقاً الحملة، بل كتب عنها من خلال قراءته التقارير الرسمية، وتواصله مع المشاركين، ومنهم صديقه القائد جاللوس[٦٥].

٢- موقفه السيئ من الوزير النبطي سلي؛ فقد جعل السبب الرئيس والوحيد في إخفاق الحملة الرومانية هو خيانة الوزير النبطي العربي سلي، وكال له التُّهم تكراراً ومراراً على خيانته ومكره وتلاعبه، مفسّراً هذه الخيانة، وهذا التعامل السيئ من سلي، بأن الوزير النبطي كان مضمراً «استطلاع البلاد بمساعدة الرومان بهدف تدمير بعض مدنها وقبائلها، ثم يسمِّي نفسه ملكاً على الجميع»[٦٦]، وأكمل يقول: «تنصيب نفسه سيداً للجميع بعد أن يذهب الجوع والمرض وأيّ شرور أخرى هيّأها وصنعها من فرط خيانته، بعد أن تذهب هذه جميعاً بالرومان وتهلكهم» (Strabo, Geography, 16: 4-24؛ وانظر أيضاً: عقاب، ١٩٨٩م: ١٨٤-١٨٥). وتهمته أنه سار بالحملة في طريق صحراوية لا ماء فيها ولا زرع؛ لذلك طلبت روما من دولة الأنباط محاكمة الوزير، فحوكم بتهمة الخيانة العظمى، وحُكم عليه بالإعدام بقطع رأسه علناً في إحدى الساحات العامة في مدينة روما. ولنا عند هذا القول وقفتان: الأولى أن سبب إعدام سلي لم يكن -بكلّ تأكيد، كما ادّعى استرابون- نتيجة دوره في إخفاق الحملة؛ فالمعلوم أن السبب يعود إلى تقديمه معلومات خاطئة عن أوضاع مملكة الأنباط، والتغيرات السياسة فيها، بعد اعتلاء الحارثة الرابع حكم البلاد[٦٧]. والوقفة الثانية: إن صحّ وصف استرابون سلوك الرومان الطريق الصحراوي فإن الوزير النبطي لم يقترف أيّ خيانة؛ لأن الأنباط -ومنهم سلي- شعب ارتبط بالصخور الشمالية وصحرائها، ولا يحسن التعامل مع الجبال الجنوبية اليمنية، واستنباط مياهها؛ لذلك فإن الطريق

٦٥- انظر أيضاً: (قروم، ٢٠٠٨م: ١٠٩). ونشير هنا إلى أن بعض الباحثين، مثل (العتيبي، ٢٠١١م: ٤٠٥) يرون أن استرابون قد رافق صديقه جاللوس في هذه الحملة، وهو أمر لا تدعمه أدلة قوية.

٦٦- عدّ (إبراهيم، ١٩٩٢م: ٥١٥-٥١٦) بهذا التصرّف -بطبيعة الحال إن صحّ- سلي رائداً للوحدة العربية، لكننا نرى في هذا مبالغة كبيرة؛ فالوزير يدين بالولاء لملكه عبادة، ويعلم أن مثل هذه الأحلام لا يمكن تحقيقها؛ لأنها لم تكن واردةً في النظام السياسي العربي القديم.

٦٧- هو الخطأ الذي وقع فيه (العتيبي، ٢٠١١م: ٤٢٣) عندما كرّر قول استرابون هذا.

الذي اقترحه سلي هو الطريق المناسب والمعروف لديه، وليس هناك أيّ خيانة منه للجيش الروماني، وكيف يخون جيش دولة يُعدُّ هو وحكومته من حلفائها المقرّبين في المنطقة؟!. إن هذا الموقف أساء كثيراً إلى استرابون؛ لأن إقحامه العلاقات الشخصية بينه وبين آيليوس جاللوس جعل ما كتبه عن الحملة ضعيفاً تنقصه المصداقية؛ لذلك فمن الضروريّ أخذ الحيطة والحذر من رواياته.

ومع أن استرابون أعاد أسباب الإخفاق إلى سلي[٦٨]، وإلى التعب والإرهاق اللذين واجهتهما القوات الرومانية خلال هذه الحملة؛ فقد وصلت إلى بلاد اليمن بعد ستة شهور سيراً على الأقدام، لم يتحمّل الرومان خلالها قساوة بلاد العرب من حيث العطش والحرارة الشديدة وقلة المياه، إلا أنه من الطرافة أن الدارسين العرب، الذين لم يقبلوا مسوّغات استرابون؛ لأنه روماني أراد الدفاع عن جيش الإمبراطورية وهيبته (الإرياني، ١٩٨٤م: ٥٩؛ كمال، ١٩٧٧م: ١٢؛ بهائي، ٢٠١٠م: ٥٢، العتيبي، ٢٠١١م: ٤٣٦، وغيرهم)، وقعوا في الخطأ ذاته؛ فدافعوا عن العرب، سواء الأنباط أم الممالك والقبائل اليمنية، من منطلق الوطنية، وليس من باب التحليل العلمي والمصالح الدولية المتغيّرة، فكان أن أضافت الجرو (الجرو، ٢٠٠٢م: ١٨٤)[٦٩] سببين آخرين من منطلق البعد الوطني والإقليمي، هما:

٦٨- لعلنا نشير هنا إلى أن استرابون هو الوحيد الذي عزا إخفاق الحملة إلى الوزير سلي أو الأنباط، بينما أعاد المؤرخ دي كاسيوس الإخفاق إلى الطبيعة القاسية التي تميّزت بها الجزيرة العربية حيث الصحراء والشمس الملتهبة وندرة المياه (نقلاً عن: العتيبي، ٢٠١١م: ٤٣٢). وهذا الأمر أيضاً لم يرجّحه عدد من المؤرخين المعاصرين، مثل: (Bowersock, 1983: 48-9; Ball, 2000: 113).

٦٩- تناولت الجرو في كتابها الموسوم بـ(التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية: اليمن القديم) الحملة الرومانية في عدة صفحات (ص ص١٧٩-١٨٤)، ومع أن تناولها هذا الموضوع جاء مثل بقية الدراسات، معتمداً بشكل واضح على دراسة جواد علي، إلا أن ما يُؤخذ عليها هو أنها -أيضاً مثل بقية الدراسات الأخرى- أخذت من كتاب جواد علي من دون الإشارة إليه، خصوصاً في الإحالات التي جاءت على شكل نجمة أو أكثر. انظر: (الجرو، ٢٠٠٢م: ١٨١- ١٨٢)، كما أنها -للأسف الشديد- كرّرت الخطأ الذي وقع فيه (علي، ١٩٧٧م، مج٢: ٣٨٦) في قوله: إن العَلَم سلي هو في العربية صالح (الجرو، ٢٠٠٢م: ١٨١)، وهو خطأ وقع فيه كل من: (محرّرو دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، ١٩٧٩م : ٩٨؛ والبديع، ١٩٩٥م: ٢١٨-٢١٩؛ والعتيبي، ٢٠١١م: ٤٠٩، ٤١٧).

١- المقاومة اليمنية الشديدة[٧٠]، التي كان لها دور مؤثّر وفعّال في إلحاق الهزيمة بالقوات الرومانية، وهو سبب -كما تقول الجرو- تجاهله المؤرخ استرابون.

٢- التحصينات القوية، والصمود الذي تمتّعت به المدن العربية الجنوبية، مثل مدينة مأرب عاصمة دولة سبأ، وصمود تلك المدن أمام الحصار الذي فرضه عليها الجيش الروماني بهدف استسلام تلك المدن، وكسر شوكتها العربية.

ونحن لا نرى هناك إخفاقاً واضحاً لهذه الحملة بالصورة التي رَغِبَ بعضهم في تأصيلها؛ فالعبرة في النتائج النهائية للحملة[٧١]؛ فقد تبيّن بكلّ وضوح بعد عشرين عاماً على انتهاء الحملة أن اليمنيين اضطروا، ليس فقط إلى السماح للتجار والسفن الأجنبية بنقل البضائع من الهند والشرق الأقصى مباشرةً إلى أوربا عبر الموانئ اليمنية، بل إنهم سمحوا بإقامة جاليات كبيرة بهذه الموانئ، ومنها ميناء عدن، ووافقوا أيضاً على وضع حامية (قاعدة) عسكرية رومانية للحفاظ على الأمن البحري، والدفاع عن الجاليات الرومانية المقيمة بعدن (Pliny, Natural, 6,26)، وهو ما أدّى إلى انخفاض واضح في تكاليف السلع الشرقية التي يحتاج إليها المجتمع الروماني خاصةً، والأوربي عامةً، فازداد بشكل كبير استهلاك هذه المجتمعات هذه السلع، حتى إن أحد الموانئ الرومانية على البحر الأحمر كانت تغادر منه في هذا الوقت ١٢٠ سفينة، بينما كانت قبل حملة جاللوس لا تزيد على عشرين سفينة. وكانت هذه التغيّرات نتيجةً لحملة ثانية أرسلها أغسطس بقيادة حفيده جايوس قيصر (the Periplus: 26)[٧٢] في العام الميلادي الأول، عندما جاء عبر البحر الأحمر، ووجّه

٧٠- قد يعتقد بعض الباحثين أن المدة التي مكث فيها الجيش الروماني في (لوكي كومي)، إضافةً إلى مدة عبوره وسط شبه الجزيرة العربية، كانت مدةً كافيةً لأن تعدّ الممالك والقبائل اليمنية عدّتها، وتتّخذ الإجراءات التي تساعد على إخفاق الحملة.

٧١- الغريب أن الوحيد الذي سبق معظم الدارسين في نقل هذا الحدث إلى اللغة العربية، وهو جواد علي، نقل عنه أغلبية الدارسين العرب أحداث هذه الحملة، لكنهم أغفلوا اصطلاحه في وصف الحملة بقوله مرّتين: «الحملة المُخفقة» (علي، ١٩٧٧م، مج٢: ٤٨، ٥٨).

٧٢- رغبةً من أغسطس في عدم تكرار أخطاء الحملة الأولى يبدو أنه قد أمر أحد الخبراء آنذاك، وهو ديونيسيوس Dionysius -صاحب كتاب (وصف العالم)- بجمع كلّ المعلومات الجغرافية والسكانية عن الشرق؛ لتكون في متناول حفيده جايوس قيصر في غزوته هذه (بغدادي، ٢٠٠٣م: ٢٦-٢٧).

ضربةً قويةً وخاطفةً للميناء العربي (عدن) (عن هذه الحملة انظر: عقاب، ١٩٨٩م: ١٩٠- ١٩٨؛ بغدادي، ٢٠٠٣: ١٥-٣١)، ونتج من هذه الحملة الآتي:

- وضع حامية عسكرية رومانية في عدن؛ لضمان سلامة الجالية الرومانية في المنطقة، إضافةً إلى فرضها نفوذاً تجارياً رومانياً، ليس في عدن وحدها، بل في المنطقة الساحلية كلها، ولعلنا نشير إلى أن عدن عُرفت -لمكانتها وأهميتها عند الرومان- بـ(مستودع الرومان Emporium) (بهائي، ٢٠١٠م: ٥٧).

- أصبح بمقدور السفن الرومانية الاستراحة في هذه الموانئ، والتوجّه منها إلى الهند والسواحل الشرقية لإفريقية، والعودة إليها.

- السماح بإقامة جاليات رومانية في عدن من أصحاب السفن والمشتغلين بالتجارة.

كما أن العلاقات مع الممالك الداخلية ازدادت رسوخاً؛ فها هو ذا صاحب كتاب (الطواف حول البحر الإرتيري) (the Periplus: 33) يقول: «إن هناك صداقةً ربطت شرحبيل -ملك الحميريين والسبئيين- بأباطرة الرومان، وإنه كان يرسل إليهم باستمرار السفارات والهدايا» (نقلاً عن: بهائي، ٢٠١٠م: ٥٣؛ وانظر كذلك: علي، ١٩٧٧م: ٦٠). ومما يؤكّد -في تصوّرنا- النجاح النسبي لهذه الحملة ما أشار إليه مؤلف (الطواف حول البحر الإرتيري) من أن مأرب أصبحت قريةً صغيرةً بعد أن كانت في الماضي مدينةً مكتملةً (نقلاً عن: العتيبي، ٢٠١١م: ٤٣٢). وهكذا فإن هذه الأحداث والتطورات تُعطي مؤشراً على نجاح بعض أهداف الحملة.

المصادر والمراجع



أولاً: العربية

أباظة، فاروق عثمان.، (١٩٧٨م)

«التدخل الأجنبي في اليمن في نهاية عهد حضارته القديمة وموقف الشعب اليمني إزاءه»، دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، العدد١٦، السنة الرابعة، ص ص٦٥-٨٨.

إبراهيم، محمد عبودي.، (١٩٩٢م)

«استرابون يتحدث عن حملة آيليوس جاللوس على بلاد العرب»، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد٣، ص ص٥٠٢-٥٣٤.

إبراهيم، محمد حمدي.، (٢٠٠٥م)

سيرة حياة فلافيوس يوسيفوس (٣٧- بعد عام ١٠٠م)، القاهرة: المكتب المصري للمطبوعات.

الإرياني، مطهر علي.، (١٩٨٤م)

«حول الغزو الروماني لليمن»، دراسات يمنية، العدد ١٥، ص ص٥١-٦٤.

....، (١٩٩٠م)

نقوش مسندية وتعليقات، صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني.

الأنصاري، عبدالرحمن.، سعيد فايز السعيد.، سالم أحمد طيران.، محمد عايض العتيبي.، حسين علي أبو الحسن.، (١٩٩٩م)

نقشا اب كرب «Ry509» ومعد كرب يعفر «Ry510»، في: مأسل، مطبوعة علمية تُعنى بدراسة كتابات العربية القديمة، تصدرها لجنة الدراسات والكتابات العربية القديمة في قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود.

أيوب، إبراهيم رزق الله.، (١٩٩٦م)

التاريخ الروماني، بيروت: الشركة العالمية للكتاب.

بافقيه، محمد عبدالقادر.، (١٩٨٥م)

تاريخ اليمن القديم، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

بتري، آ.، (١٩٧٧م)

مدخل إلى تاريخ الرومان وآدابهم وآثارهم، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، الموصل: جامعة الموصل، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر.

البديع، مها بنت عبدالعزيز.، (١٩٩٥م)

الأنباط وعلاقتهم بمصر في العصرين الهلنستي والروماني في الفترة ما بين ٣١٢ ق. م- ١٠٦م، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب للبنات بالرياض، وكالة الرئاسة لتعليم البنات.

بغدادي، رشاد.، (٢٠٠٣م)

«حول حملة جايوس قيصر العسكرية وتدمير ميناء عدن»، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد ٤، ص ص١٥- ٣١.

بن صراي، حمد.، (١٩٩٨م)

معالم التاريخ اليوناني والروماني، رأس الخيمة.

....، (١٩٩٩م)

الإبل في بلاد الشرق الأدنى القديم وشبه الجزيرة العربية، الرياض: الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار الثالث.

بهائي، جيهان عبدالرحمن.، (٢٠١٠م)

الاحتلال الروماني لمملكة الأنباط والولاية العربية: ١٠٦- ٣٠٥ ميلادية، رسالة دكتوراة غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود.

الجاسر، حمد.، (١٩٩٢م)

«أكرا: الموقع الأثري والاختلاف في اسمه»، العرب، مج١١-١٢، ص ص٧٢١-٧٢٨.

الجرو، أسمهان.، (٢٠٠٢م)

موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية: اليمن القديم، عدن: دار جامعة عدن للطباعة والنشر.

..................................، (٢٠٠٣م)
دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، عمان: دار الكتاب الحديث.
جيبون، إدوارد.، (١٩٩٧م)
اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب.
الحاج، محمد (تحت النشر)
«الأوضاع السياسية لمملكة حضرموت وعلاقتها بمملكة قتبان في بداية القرن الأول قبل الميلاد»، مداولات اللقاء العلمي الرابع للجمعية السعودية الأثرية، (٣٩ صفحة).
حوراني، جورج فاضلو.، (١٩٥٨م)
العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة: يعقوب بكر، تحقيق: يحيى الخشاب، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
الخثعمي، مسفر بن سعد.، (٢٠٠١م)
«الأثر السياسي والحضاري لدرب البخور في عصور ما قبل الإسلام»، سلسلة مداولات اللقاء العلمي السنوي للجمعية (٣)، جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون الخليجي العربية، ص ص٢٥-١٠٨.
الدغيم، صالح إبراهيم.، (٢٠٠٢م)
التنظيمات العسكرية النبطية، الرياض: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية.
دماج، ليبيا عبدالله.، (٢٠١٢م)
المحاصيل الزراعية في اليمن القديم، صنعاء: دار النشر للجامعات مكتبة الإكليل الجديد.
ديورانت، ول.، (١٩٨٨م)
قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، دار الجيل للطبع والنشر.
الذييب، سليمان عبدالرحمن.، (٢٠٠٤م)
الأوجاريتيون والفينيقيون: مدخل تاريخي، الرياض: الجمعية التاريخية السعودية، بحوث تاريخية، الإصدار السابع عشر.

....، (٢٠٠٧م)

منطقة الرياض: التاريخ السياسي والحضاري القديم، الرياض: أمانة مدينة الرياض.

....، (٢٠١١م)

التاريخ السياسي للأنباط، الرياض: الهيئة العامة للسياحة والآثار، سلسلة كتاب الآثار (١).

رحماني، بلقاسم مدني حرفوش.، (١٩٩٧م)

الدور المصري في جنوب شبه الجزيرة العربية والشرق الإفريقي، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

زيادة، نقولا.، (١٩٧٥م)

«تطور الطرق البحرية والتجارية بين البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي»، دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٤، السنة الأولى، ص ص٦٩- ٩٤.

....، (١٩٨٤م)

«دليل البحر الإرتيري وتجارة الجزيرة العربية البحرية»، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني: الجزيرة العربية قبل الإسلام، جامعة الملك سعود، ص ص٢٥٩-٢٧٧.

سبرنجر، أ.، (تحت النشر)

«حملة إليوس جاليوس إلى الجزيرة العربية»، ترجمة: عبدالعزيز بن سعود الغزي، تحت النشر.

السعدني، محمود إبراهيم.، (١٩٩٧م)

تاريخ الحضارة الرومانية منذ نشأتها وحتى نهاية القرن الأول الميلادي، الرياض: دار الخريجي للنشر والتوزيع.

السلامين، زياد.، (٢٠١٤م)

مسكوكات جديدة للوزير النبطي سلي، الرياض: كرسي الأمير سلطان بن

سلمان لتطوير الكوادر الوطنية في السياحة والآثار.

....، (٢٠١٤م)

العلاقات النبطية الخارجية: دراسة في ضوء المصادر التاريخية والشواهد الأثرية، الرياض: الجمعية التاريخية السعودية، سلسلة الأعمال العلمية المحكمة في التاريخ والحضارة.

سلطان، نايفة عبدالحميد.، (١٩٩٨م)

تجارة البخور والمواد العطرية وتأثيراتها على مجتمعات شبه الجزيرة العربية، الرياض: رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود.

سيد، عبدالمنعم عبدالحليم.، (١٩٩٣م)

«جغرافية منطقة البحر الأحمر الطبيعية والبشرية وأثرها في تشكيل نوع الصلات الحضارية بين شعوب هذا البحر»، البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة، مجموعة بحوث نُشرت في الدوريات العربية والأوربية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ص ص٢- ١٣.

....، (١٩٩٣م)

«الأسماء الجغرافية الآسيوية ذات القيمة التاريخية في النقوش العربية القديمة»، البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة، مجموعة بحوث نُشرت في الدوريات العربية والأوربية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ص ص٣٧٩- ٣٩٩.

شتلة، إبراهيم يوسف.، (١٩٨٤م)

«حملات الرومان على الجزيرة العربية»، الدارة، العدد٣، ص ص١٠٣- ١١٦.

شرف الدين، أحمد حسين.، (١٩٧٩م)

«مسالك القوافل التجارية في شمال الجزيرة العربية بجنوبها»، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني: الجزيرة العربية قبل الإسلام، جامعة الملك سعود، الكتاب الثاني، ص ص٢٥١- ٢٥٧.

الشيخ، حسين.، (٢٠٠٤م)

الرومان، في دراسات في تاريخ الحضارات القديمة (٢)، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

السيد، محمد عبدالفتاح.، (٢٠٠٤م)

المصريون والرومان: رؤية حضارية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

العبادي، صبري.، (١٩٩٧م)

«نقش صفوي جديد يؤرّخ إلى الربع الأخير من القرن الأول قبل الميلاد»، أبحاث اليرموك، العدد (٣)، المجلد (١٣)، ص ص١٤١- ١٥١.

العبادي، مصطفى.، (١٩٨١م)

الرومانية: النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية، بيروت: دار النهضة العربية.

عباس، إحسان.، (١٩٨٧م)

تاريخ دولة الأنباط، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

عبدالعليم، مصطفى كمال.، (١٩٨٤م)

«تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني»، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني: الجزيرة العربية قبل الإسلام، جامعة الملك سعود، الكتاب الثاني، ص ص٢٠١-٢١٠.

....، (١٩٨٧م)

«هيردوت يتحدث عن بلاد العرب»، العصور، المجلد ٢، الجزء ١، ص ص٧- ٢٤.

عبدالغني، محمد السيد محمد.، (١٩٩٩م)

«العلاقات بين العرب والرومان في القرن الأول الميلادي»، ندوة العرب وأوربا عبر عصور التاريخ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ص ص٤٣- ٥٣.

العتيبي، محمد.، (٢٠٠٦م)

التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ من خلال النصوص منذ القرن السادس ق.م حتى القرن السادس الميلادي، الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، وزارة التربية والتعليم.

العتيبي، فهد.، (٢٠١١م)
«حملة أليوس جاليوس على الجزيرة العربية عام ٢٤ ق. م في ضوء نظرية ما بعد الاستعمار»، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، العدد ٢٥، ص ص٣٩٥-٤٥٢.
علي، جواد.، (١٩٧٧م)
المفصل في تاريخ العرب القديم، بغداد: مكتبة النهضة، بيروت: دار العلم للملايين.
علي، عبداللطيف أحمد.، (١٩٧٢م)
مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، بيروت: دار النهضة العربية.
....، (١٩٧٣م)
التاريخ الروماني عصر الثورة: من تيبريوس جراكوس إلى إكتافيانوس أغسطس، بيروت: دار النهضة العربية.
....، (١٩٦٤م)
مصادر التاريخ الروماني، بيروت: دار النهضة العربية.
عقاب، فتحية حسين.، (١٩٨٩م/١٤١٠هـ)
أبعاد الوجود الروماني في شبه الجزيرة العربية منذ العقود الأخيرة من القرن الأول قبل الميلاد وحتى نهاية القرن الأول الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات.
....، (٢٠١٤م)
العلاقات بين الأنباط واليهود في ميزان الدولة الرومانية من أواخر القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي، الرياض: مشروع الملك عبدالله للعناية بالتراث الحضاري، الهيئة العامة للسياحة والآثار.
الغبان، علي إبراهيم.، (١٤١٤هـ)
«أكرا كومي: ميناء الحجر (قصة اكتشاف ميناء أكرا)»، كندة، العدد الأول،

تصدرها الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، ص ص٢١- ٢٨.

الغزي، عبدالعزيز سعود.، (١٤١٦هـ)

التحوّل الاستيطاني في محافظة الخرج في العصور القديمة، الرياض: الجمعية السعودية للدراسات الأثرية.

....، (١٩٩٩م)

«الجغرافيا التاريخية البشرية لمنطقة الرياض إبان العصور الحجرية»، في: منطقة الرياض: دراسة تاريخية وجغرافية واجتماعية، تحرير: عبدالله ناصر الوليعي، ص ص٧- ٨٥.

غلاب، محمد السيد.، (١٩٨٤م)

«التجارة في عصر ما قبل الإسلام»، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني: الجزيرة العربية قبل الإسلام، الرياض: جامعة الرياض، ص ص١٩٨- ٢٠٠.

صدقي، محمد كمال.، (١٩٨٧م)

معجم المصطلحات الأثرية (إنجليزي- عربي)، الرياض: جامعة الملك سعود، عمادة المكتبات.

الصلوي، إبراهيم.، (١٩٨٠م)

قصة أصحاب الأخدود: دراسة لغوية تاريخية من خلال المصادر النقشية والعربية والإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة اللبنانية.

فرح، أبو اليسر.، (٢٠٠٢م)

الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

قروم، نايقل.، (٢٠٠٨م)

اللبان والبخور: دراسة لتجارة البخور العربية، ترجمة: عبدالكريم بن عبدالله

الغامدي، الرياض: جامعة الملك سعود.

كاسكل، ف.، (١٩٧١م)

«لحيان: المملكة العربية القديمة»، ترجمة: منذر البكر، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد ٥، ص ص١٧٤-١٩٥.

كمال، عبدالحافظ.، (١٩٧٧م)

«حملة عسكرية على بلاد العرب قبل ألفي عام وعام»، مجلة الفيصل، العدد ٦، السنة الأولى، ص ص١٢٠- ١٢٥.

مزعل، مبارك بن خلف.، (٢٠١٤م)

الحروب بين روما واليهود في ضوء كتابات يوسيفوس في الفترة من ٦٦ إلى ٩٦م، الرياض: جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم التاريخ.

مكلاوغلن، راؤول.، (٢٠١٤م)

روما والشرق البعيد: طرق التجارة القديمة إلى أراضي الجزيرة العربية والهند والصين، الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر.

مونرو، إليزابيث.، (١٣٩٦هـ)

«الجزيرة العربية بين البخور والبترول»، الدارة، العدد ١، السنة الثانية، ص ص٢٨- ٤٣.

مهران، محمد بيومي.، (١٩٧٩م)

دراسات في تاريخ العرب القديم، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود.

الناشري، علي محمد.، (٢٠٠٧م)

اليمن في عصر ملوك سبأ وذي ريدان من القرن الأول إلى منتصف القرن الثاني الميلادي، رسالة دكتوراة غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة صنعاء.

الناصري، سيد أحمد.، (١٩٧٨م)

تاريخ الإمبراطورية الرومانية، القاهرة: دار النهضة العربية.

....، (١٩٧٩م)

«الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة»، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الملك سعود، الكتاب الثاني، ص ص٤٠١- ٤٢٨.

....، (١٩٨١م)

«الرومان والبحر الأحمر»، الدارة، العدد ٢، السنة السادسة، ص ص٨- ٥٠.

النعيم، نورة بنت عبدالله.، (١٩٩٢م)

الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي، الرياض: دار الشواف.

....، (٢٠٠٠م)

التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

النعيمات، سلامة.، (٢٠٠٠م)

«حملة أليوس جالوس Aelius Gallus على جنوب الجزيرة العربية من خلال جغرافية سترابو»، المنارة، المجلد ٦، ص ص٨٥- ١٠٧.

النصرات، محمد.، (٢٠٠٧م)

مملكة الأنباط: التاريخ السياسي، عمان: مشروع بيت الأنباط.

الهذال، حصة بنت تركي.، (٢٠٠٢م)

تدخّل روما السياسي والعسكري في شبه الجزيرة العربية خلال الفترة من بداية القرن الأول ق. م حتى أواخر القرن الثالث الميلادي، الرياض: قسم التاريخ، كلية الآداب، وكالة كليات البنات، وزارة المعارف.

هزيم، رفعت.، (١٩٩٤م)

«الألقاب والرُّتب السياسية والعسكرية في الكتابات النبطية»، أبحاث اليرموك، مج٢١، ص ص٧٥- ٨٧.

يحيي، لطفي عبدالوهاب.، (١٩٧٩م)

«الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية»، دراسات تاريخ الجزيرة العربية،

الكتاب الأول: مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الجزء الأول، الرياض: جامعة الرياض، ص ص٥٥- ٧١.

....، (١٩٧٩م)

«الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادي»، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني: الجزيرة العربية قبل الإسلام، الرياض: جامعة الرياض، ص ص٩١- ١٠٣.

Scullard, H, H., (1980)

A History of the Roman World 753 to 146 B. C., London & New York: Methuen & CO.LTD.

Sidebotham, S. E., (1986)

"Aelius Gallus and Arabia", Latomus 45, pp. 590- 602.

……………….., (1989)

"Ports of the Red Sea and the Arabia-India trade", APSEHC 10, pp.195-223.

Strabo, (1930)

The Geography, Trans by: H. L. Jones, London: Loeb Classical Library.

Van Beek, G., (1960)

"Frankincense and Myrrh", BA, 23, pp.70-95.

http://ar.wikipedia.org/wiki

www.skynewsarabia.com/web/article/645137

http://ar.wikipedia.org

http://ar.wikibooks.org

http://www.arab-ency.com/index.

Josephus, F., (1998)

The Work of Josephus, The Jewish Wars, The Jewish Antiquities, Trans. By: W. Thomas, Nashvilla: Neson Publishers.

Kennett, F., (1975)

History of Perfume, London:

Kirwan, L., (1979)

"Where to Search for the Ancient Port of LeukeKome", In: Studies in the History of Arabia, Vol. II, pp.55-61.

Lawar, J., (1974)

The Nabataeans in Historical Perspective, Michigan: Barker Studies in Biblical Archaeology.

Meshorer, Y., (1975)

Nabataean Coins, Jerusalem: Institute of Archaeology.

Müller, W. W., (1979)

Arabian Frankincense in Antiquity according to Classical Sources, Studies in the History of Arabia, Vol. I: Sources for the History of Arabia, pp.79-92.

Pliny (PliniusSecundus)., (1945)

Natural History, Trans. By: H. Rackham, London: Loeb Classical Library.

Repertoir d EpigraphieSemitique, Paris: Academie des Inscriptions et Belles-Lettres.

Robinson, Theodore., (1957)

A History of the Israel, Oxford: The Clarendon Press.

Loeb Classical Library, (10 vols).

Dio Cassius., (1965)

The Bibliotheca Historica, Trans. By: John Skelton, Oxford: University Press.

Forstre, C., (1984)

Histotical Geography of Arabia, London: Draf Publishers Limited.

Herodotus (1943)

The History of Herodotus, Trans. By: G. Rawlson, Ed by: M. Kornroff, New York.

Huntingford, G. W., (1980)

The Periplus of the Eryhrean Sea, London: The Hakluyt Society.

Jameson, S., (1968)

“Aelius Gallus and G. Eptronius, JRS 58, pp. 71-84.

Jamme, W. F., (1962)

Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib), Baltimore: The Lohns Hopkins Press.

………………., (1966)

Sabaean and Hasaean Inscriptions from Saudi Arabia, Rome: Istituto di studi del Vicino Oriente, Unversita di Roma.

Jones, A., (1973)

The Later Roman Empire 284-602: A Social Economic and Administrative Survey, Oxford: Basil Blackwell.

ثانياً: الأجنبية

Arnold, W., (2000)

Roman Empire, Manchester: Manchester University Press.

Anderson, J. G., (1976)

"The Eastern Frontier Under Aagustus", CAH10: 247-254.

Ball, W., (2000)

Rome in the East: The Transformation of an Empire, London: Routledge.

Bloom, J.J., (2010)

The Jewish Revolts Against Rome, 66AD-135AD: A Military Analysis, London.

Bowersoek, G. A., (1983)

Roman Arabia, Cambridg: Massashusetts, Harvard: University Press.

Brice, William., (1979)

"The Classical Trade-Routes of Arabia, from the Evidence of Ptolemy, Strabo and Pliny", Studies in the History of Arabia, Vol. II: Pre-Islamic Arabia, pp.177-181.

Bunson, M., 1994)

A Dictionary of the Roman Empire, Oxford: Oxford University Press.

Didorus., (1933)

Didorus of Sicily, (translated by C. H. Oldfather), New York:

نبذة عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

تأسس مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية عام ١٤٠٣هـ ومقرّه الرياض، عاصمة المملكة العربية السعودية. ويقوم المركز بنشاطات عدّة، منها: المحاضرات والندوات والمؤتمرات وحلقات النقاش، كما يحتضن مكتبة الملك فيصل، ومجموعة مخطوطات نادرة، ومتحفاً إسلامياً، وقاعة الملك فيصل، والباحثين الزائرين. وحيث إن أساس العمل بالمركز هو البحث العلمي فقد تم إنشاء إدارة البحوث عام ١٤٣٤هـ للقيام بتحليلات متعمقة حول القضايا السياسية المعاصرة، والدراسات السعودية والإقليمية، ودراسات اللغة العربية والحداثة. كما يقوم المركز بالتعاون مع مراكز الأبحاث الأخرى حول العالم في مجال تخصصه.

ويهدف المركز إلى أن يكون مصدر إشعاع للإنسانية تحقيقاً لتصوُّر الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله، وذلك عبر القيام بالبحوث والدراسات، وحفز الأنشطة الثقافية والعلمية إلى ما يخدم البشرية، ويثري الحياة الثقافية والفكرية في المملكة العربية السعودية، ويمثل بوابة وجسراً للتواصل شرقاً وغرباً.

ويترأس مجلس إدارة المركز صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل بن عبدالعزيز، وأمينه العام الأستاذ الدكتور يحيى محمود بن جنيد.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

P.O.Box 51049 Riyadh 11543 **Kingdom of Saudi Arabia**
Tel: (+966 11) 4652255 Ext: 6764 Fax: (+966 11) 4162281
E-mail: research@kfcris.com